منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (2477) السنة التاسعة - الاربعاء (9) أيـار 2012

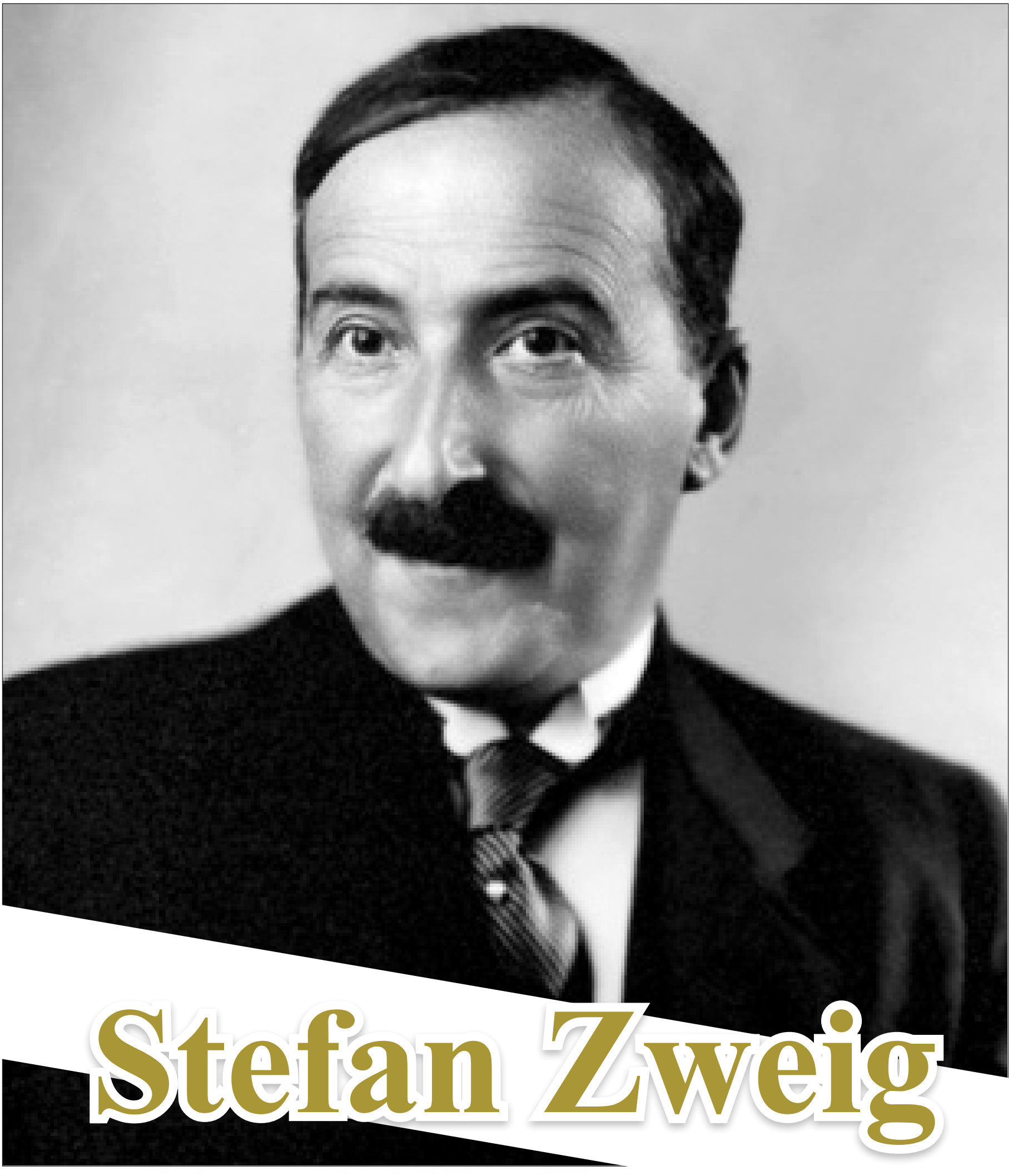

Stefan Zweig

ستيفان زفايج
والعالم الذي احببناه

فاطمة الفلاحي

"بورتريه ستيفان زفايج"

• في عام ١٨٨١، ،ولد الكاتب النمساوي ستيفان زفايج،
• في عام ١٩١٤ بدأت رحلة اليأس والشقاء مع ستيفان زفايج.
• في الفترة بين عامي ١٩١٨ . ١٩٣٩، عاش ستيفان وجيله من الكتاب فترة سلام دون حروب
• في عام ١٩٢٥، ألف كتابا مهما بعنوان: "المعركة مع الشيطان"
• في عام ١٩٣٢، انفصل عن زوجته الأولى فريديريك، التي تعبت من متطلباته ومغامراته العاطفية.
• في عام ١٩٣٣ حرقت وأتلفت كتاباته في ساحات ألمانيا، لأنه كان يهوديا. بعد أن عرفت كتاباته شهرة ونجاحا كبيرا عند القراء.
• في عام ١٩٣٤،غادر فيينا،بعد أن عاش فيها (٥٣) سنة، ليعيش في لندن.
• في عام ١٩٣٤ كتب روايته "حذار من الشفقة".
• في عام ١٩٣٨ هربت زوجته الاولى الى باريس، تاركة خلفها عددا من المخطوطات التي وضع النازيون يدهم عليها.
• في عام ١٩٣٨، تم ضم بلاده النمسا الى ألمانيا بعد أن سيطر عليها النازيين.
• في عام ١٩٣٩، كتب لقرائه عن أمر يخصه ويخص الثقافة الأوروبية ويخص ألمانيا والنمسا،عن طاغيتها الهالك ونمسا سالزبورغ وشتراوس والبرجوازيات الملكية والكاتدرائيات••
• في عام ١٩٤٠، إلتقى بلوت ألتمان في إنكلترا، كانت سكرتيرته خلال كتابته سيرة ماري ستيوارت، وتزوج منها.
• في عام ١٩٤١، بعد عدة شهور أمضياها في الولايات المتحدة الأميركية، غادر الزوجان إلى البرازيل، بهدف الهروب من رعب الحرب التي عاشها شتيفان تسفايغ بمثابة رعب حقيقي كما أنه وجدها بمثابة انحلال أخلاقي كامل.
• في عام ١٩٤٢، كتب رواية "عالم الأمس"، أتوبيوغرافيا.
• في عام ١٩٤٢، كتب ١٩٢ رسالة لأصدقائه يعلمهم انتحاره ومات منتحراً في البرازيل.
• في عام ١٩٥١ تم طبع كتابه "ماجلان قاهر البحار" ترجمة حبيب جاماتي.
• بعد وفاته بسنوات صدرت له مخطوطة خفية وهي رواية جديدة،غير منشورة سابقاً وغير معروفة وهي "السفر في الماضي"،في ألمانيا والترجمة لباتيست توفيراي عن "دار غراسيه" . وسجلت مبيعاتها أرقاما قياسية في الدولتين،وسيتم ترجمتها الى لغات عدة.

العالم الذي أحببناه ولّى إلى غير رجعة. وما يأتي منه ليس بوسعنا أن نتحمله. وما جدوى أن يواصل المرء حياة شاحبة.

ستيفان زفايج

قـراءات

• برع ستيفان زفايج في رواية التحليل النفسي ، فقد درس الفلسفة وتاريخ الأدب ، ثم بدأت محاولاته الأولى بكتابة الشعر والدراما. فقد كان يصطفي ايقاع قصيدته وصوتها الموسيقي، قبل أن يملأها في الجُمل، وينظم القصيدة.

• من الشعر والدراما إلى السيكولوجيا وتاريخ الأدب إلى المسرح والتراجم وإلى كتابة حياة الشخصيات.

• روائي وقاص وكاتب سير العظماء، تتميز كتاباته بالتحليل النفسي،أسبر أدق تفاصيل حياة الأدباء العظام، بناة الفكر والادب والفلسفة مثل نيتشه، هولدرن، دوستويفسكي، رومان، رولان، بلزاك، كازانوفا.. فكشف ما فيها من حقائق مجهولة عن الجميع، أو هي معروفة فقط على نطاق ضيق من الأهل والأصدقاء.

• قام بالعديد من الترجمات للنصوص الفرنسية إلى اللغة الألمانية.

• عالم الأمس، رواية أتوبيوغرافيا، تحليل نفسي حربي، نص حربي وعاطفي، يؤرخ الحرب النازية فيها وهزيمة العقل ودمار النفسية واغتيال الأحلام.

• أدبه حافل ومنوع يمتاز بوصف الحالات النفسية والرومانسية في مسارب الروح وغيابات النفس وخفايا القلب..

• أخفى وبمهارة خصوصيته وحسه اليهودي في كتاباته.

• صنف عمله القصصي "لاعب الشطرنج" و " فيراتا" بالقصة الطويلة القصيرة.كما الشيخ والبحر لأرنست همنغواي.

• فيراتا هو شقيق ارميا،وهو ستيفان زفايج نفسه.. بعد أن عرف ما يعانيه المجرمون من آلام العقوبة وما يحتملونه في ظلمات السجون.

هذه القصة تكشف عن فلسفة ستيفان زيفايج الإنسانية الحزينة وصوفيته الخفية الدفينة وتبين موقفه من الحياة ومشكلاتها.

• كل أعماله تنطوي على أن " الإنسان المتميز يبقى يتمسك بالنزاهة العامة في كل الأوقات، وحتى لو تجرد من حقوقه فإنه في آخر خطوات الألم والفاقة يحاول أن يبدع ويهب الآخرين شيئا ذا قيمة في الحياة سواء كان كاتبا أو شخصا عاما يتمتع بخصوصية في شخصيته."

"أن عالم ستيفان زفانغ شديد الخصوصية،والدخول فيه يشبه الدخول إلى النفس الإنسانية ، يعي كل كلمة يكتبها بمسؤولية كبرى، قلقا على مستقبل الأجيال."

• ستيفان كاتب يصف نفسه بأنه كان "يهوديا بالصدفة". فقد عاصر حربين عالميتين، وهو المحب للسلام والتواصل، عانى بقوة من رعونة الحقبة النازية ودكتاتوريتها،كان مسكونا بحلم الوحدة الأوروبية ، وكان ينظر إلى يوم يعم فيه السلام على هذا العالم.

• ولج الى عالم "بناة العالم" القساة،نكل برعونتهم، بجوعهم للافتراس وتحويلهم البسيطة إلى دم ودموع، الأرض إلى حفاة وثكالى وأشواك يحط عليها القلب والذاكرة والضمير والخيال. يسمي تسفايغ المبدعين بمختلف شرائحهم ب-بناة العالم- وهو يعني "عالم الإنسان الداخلي الذي يبنيه هؤلاء في نفوس أبناء الحقب التاريخية، كما يمكن لهؤلاء أن يشوهوا أبناء هذه الحقب فيجعلوهم إنهزاميين، استسلاميين، جبناء. فيزرعوا في نفوسهم الجبن والتسليم بالأمر الواقع تحت سياط التهديد والرعب."

• كتاباته بنكهة الفلسفة، لاتخلو من الرهافة التي رافقته حتى بعد أن مات،ونحن نقرأ كتاباته. فقد سبق رسالته السرية الموجهة لأصدقائه، التي اعلن فيها خبر وفاته،فانتحر..

"مـن أقوالـه "

• كُرِّمت واحتقرت، ونعمت بالحرية وحُرمت منها، وتمتعت بالغنى وعانيت العوز.

• حتى لو اشفقت أنت عليهم..هل تتوقع مايقابل شعورك النبيل هذا منهم؟
"كتاب حذار من الشفقة".

• تحطيم الهيبة الملكية في فرنسا لم يبدأ مع سقوط سجن الباستيل وانما بدأ بهذه القصة الزوجية في قصر فرساي.

• الفكرُ حينَ يُحرم من مدد خارجي يظل يتطلب نقطة أرتكاز له، والا دارحول ذاته دورانا جنونيا. الفكر لايتحمل الفراغ هو أيضاً ينتظرمن الصباح الى المساء أن يحدث شيئا؟

• هكذا، لم يعد أي مكانة ولا في أي مكان.. حتى الوطن الحقيقي الذي اختاره قلبي، أوروبا، قد فقدته منذ أن لجأت للمرة الثانية إلى الانتحار، إنها تتمزق في حرب أخوية.

• أنا أدرك الظروف غير المواتية، والمميزة رغم ذلك لعصرنا، والتي أحاول فيها أن أصوغ ذكرياتي، إنني أكتبه في بلد أجنبي، والحرب قائمة، ومن غير أن تتلقى ذاكرتي أقل مساعدة، أو رسائل أصدقائي، ولا يسعني أن أبحث عن المعلومات في أي مكان، لأن البريد في العالم كله قد عطل أو أعيق من الرقابة، نحن نعيش متقاطعين كما عشنا منذ مئات السنين، قبل أن تخترع السفن والقطارات والطائرات والبريد.

رأي ستيفان زفايج بالآخر

كازانوفا وستيفان زفايج

يرى زفايج في كتابات كازانوفا الصاخبة بوصف كل مايراه من حياته المثيرة والصفيقة التي تغص بالمتع واللذائذ وغير المراعية للأعراف والتقاليد،وأن كل مافيها من غزارة مذهلة من الجنود والأمراء، البابوات والملوك، قطاع الطرق والمحتالين، الغشاشين والتجار وكتاب العدل، والفلاسفة، انه معرض بشري جذاب أسر لا أغنى ولا أغزر منه.
جمعه كازانوفا وحشده بين دفتي كتاب واحد، يضيف قائلا: أنها لمفارقة عجيبة أن مشاهير الشعراء من معاصري كازانوفا من أمثال (ميتاتياس) الموهوب و(بارييني) النبيل وغيرهما من فرسان الشعر،قد طواهم غبار الكتب،بينما اصبح كازانوفا رمزا شائعاً وفنانا شهيرا، افرزه عصر النهضة، معللا ذلك إلى أن ما يضطر أحد الشعراء إلى اختراعه وتخيله،قد عاشه كازانوفا بكل جوارحه،وأن ما يصف لنا أحد الأدباء من بنات أفكاره، فقد عاشه كازانوفا،عندها باتت مذكراته تمثل حالة فريدة ومنجماً ثراً تغري بغناها وتلهم الكتاب والمؤلفين وأن مئات الروايات والمسرحيات مدينة لمذكراته بافضل شخصياتها ومواقفها.

فرويد وستيفان زفايج

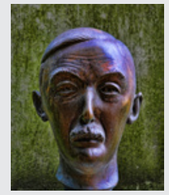

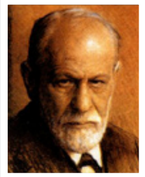

كتب فرويد رسالة إلى أندريه بروتون يستغرب فيها أن تكون أبحاثه من أهم مصادر الحركة السريالية، وأن يكون أبا روحيا لهذه الحركة، مع أن أساليب الفن بعيدة عن اهتمامه. وبعد أن هاجر فرويد إلى لندن، وصل إليه صديقه القديم ستيفان زفايج بصحبة سلفادور دالي عام ١٩٣٨، وصرح فرويد بأنه معجب بذكاء هذا (الشاب الإسباني)، ولكن دالي رسم بعد ذلك بالحبر الأسود صورة ساخرة لفرويد، يبدو فيها كعجوز منحوس، وأعطى الصورة لستيفان زفايج وطلب منه أن يوصلها إلى فرويد، ولكن زفايج كتب في مذكراته أنه لم يعط الصورة إلى فرويد الذي كان مريضا، وخشي زفايج أن تسبب له رؤيتها مزيدا من الألم.

ستيفان زفايج وكلايست وهولدرلين ونيتشه

يقول ستيفان زفايج عنهم: "لم تكن لهم علاقة برّمنهم، ولم يفهموا من قبل جيلهم، فمروا كالنيازك او كالشهب. وقد لمعوا فترة قصيرة قبل ان يحترقوا في غياهب مهمتهم."

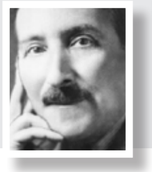

ستيفان زفايج وهولدرلين

يقول في جمالية هولدرلين، هي في الوقت نفسه، تعبير دقيق عن مأساته الشخصية.

ستيفان زفايج ودستوفسكي

يقول ستيفان زفايج عن عالم دستويفسكي الروائي: "ينبغي أن ننزل الى أعماق سحيقة، ونعبر متاهات طويلة عريضة قبل أن نصل إلى شخصية ذلك العملاق. فرواياته فريدة من نوعها، قوية، جبارة، كما أنها بعيدة ومرعبة. وكلما أردنا النفاذ إلى اعماقها اصبحت أكثر سرية".
ويقول: "بالنسبة لدستويفسكي لا يوجد جحيم، يوجد فقط الطهر أي مكان وسط بين الجنة والنار. فالإنسان المعذب الذي يحترق هو أكثر واقعية من الإنسان المغرور، الناجح، أو البارد الذي تجمد قلبه في الشرعية البورجوازية. فالكائنات الحقيقية هي تلك التي تعذبت، والتي تحترم العذاب. وعن طريق العذاب توصلت إلى السر النهائي للعالم. إن من يتعذب هو أخونا عن طريق الشفقة والرحمة. فإن دستويفسكي هو النموذج الأكبر على الكاتب الذي بنى عالما داخليا بكل أحلامه، ومخاوفه، وجنونه."

ستيفان زفايج وديكنز

قال ستيفان زفايج في تشارلز ديكنز: فقد عرف الشهرة في حياته واستمتع بالمجد على عكس دستويفسكي وبلزاك. فلم تبجل أمة كتابها مثلما مجد الانكليز تشارلز ديكنز. وتكمن عبقرية ديكنز في أنه صور بشكل حقيقي ميزات ونواقص المجتمع الإنكليزي في عهد الملكة فيكتوريا، ولكن نظرته القاسية والمرنة لا تنسى ابدا،أن تكون كريمة ومتسامحة. ولدى ديكنز كما لدى بلزاك ودستويفسكي نلاحظ أنه حتى المقهورين أو المهزومين يمكنهم أن يعلموننا شيئا ما.

ستيفان زفايج وبلزاك

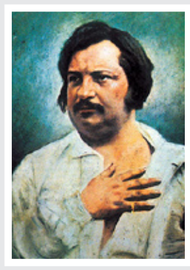

قدم ستيفان زفايج عن بلزاك بورتريه لا يستهان به. فقد قارن بينه وبين نابليون. فما حققه نابليون بالسيف، حققه بلزاك بالقلم. كلاهما عبقري وملهم، فقد أسسا عالمين فريدين. نابليون حلم بتوحيد أوروبا ونسف حدودها،ولكنه أوقف في صعوده اخيراً بعد هزيمته في واترلو.
بلزاك كتب الكوميديا البشرية،التي تشكل عالماً بأسره. فهي لا تقل طموحاً عن انجازات نابليون. ولكنها تمتاز بأنها خالدة. يقول شتيفان تسفايغ: "إن عالم بلزاك موجود بالنسبة لكل واحد منا سواء أكان فرنسياً أم نمساوياً، إنكليزياً أم المانيا. إنه لجميع البشر. فالكوميديا البشرية التي تصور الحياة النفسية بكل جوانبها تنطبق على الإنسان أينما كان."

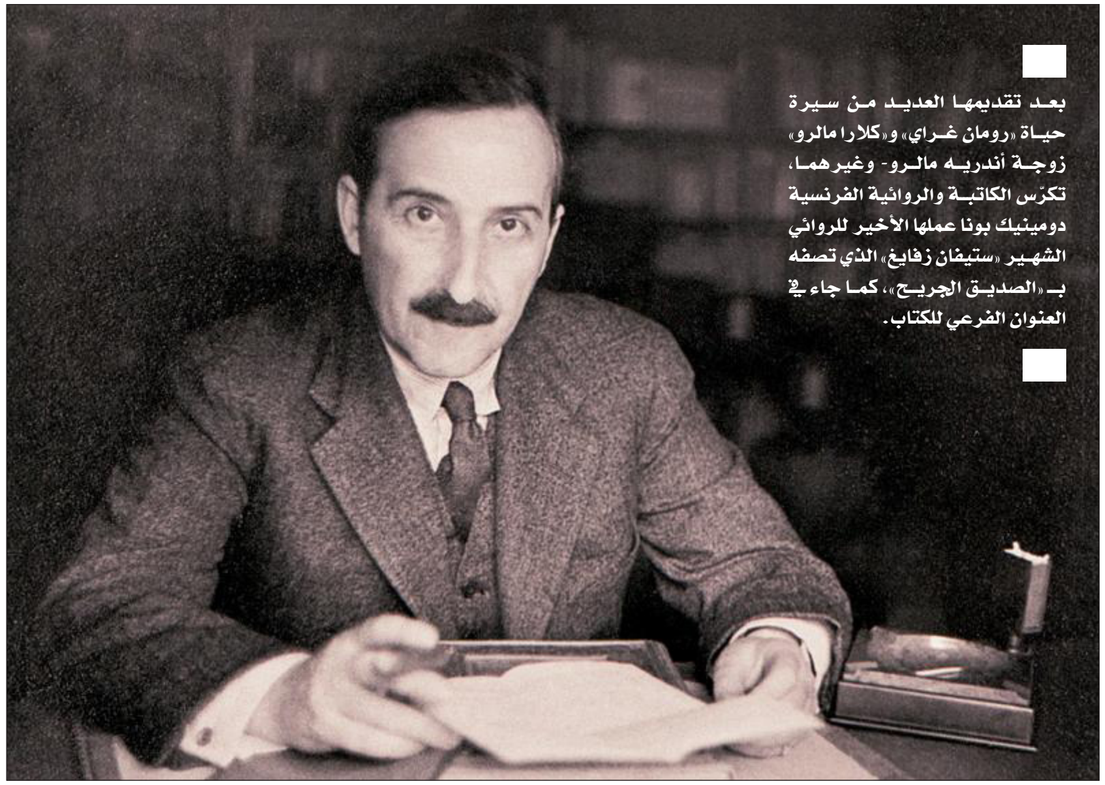

ستيفان زفايج.. الصديق الجريح

بعد تقديمها العديد من سيرة حياة «رومان غراي» و«كلارا مالرو» زوجة أندريه مالرو- وغيرهما، تكرّس الكاتبة والروائية الفرنسية دومينيك بونا عملها الأخير للروائي الشهير «ستيفان زفايغ» الذي تصفه بـ«الصديق الجريح»، كما جاء في العنوان الفرعي للكتاب.

الكتاب: ستيفان زفايغ، الصديق الجريح
تأليف: دومينيك بونا
الناشر: (غراسيه) باريس

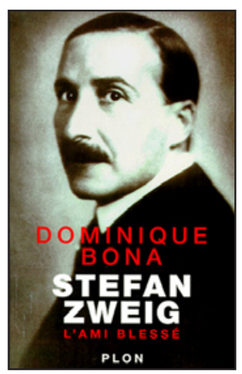

«ستيفان زفايج»، كما تقدم المؤلفة المحطات الرئيسية في حياته، هو كاتب نمساوي من مواليد فيينا عام ١٨٨١ ومات منتحرا في البرازيل عام ١٩٤٢. وتصفه قبل كل شيء بأنه الممثل الأكبر للأدب النمساوي حيث جسّد بامتياز «صخب» الحياة الأدبية في العاصمة النمساوية فيينا خلال فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية.
ما يثّفق حوله النقاد والمعلقون عامة هو أن ستيفان زفايج يمثل ظاهرة حقيقية في الأدب ذلك أنه استطاع أن يحافظ على مكانته في الصفوف الأولى بين الأدباء الذين يقرأهم الملايين. وتقول المؤلفة: «هناك سر عنوانه ستيفان زفايج، وقد حررت هذا الكتاب من أجل محاولة الكشف عن خفاياه».
لقد استطاع زفايج وهو «الكتوم والمتحفظ أن يشعل نارا لدى شخوص رواياته وأن يجعل قارئيه يشعرون بحرارة هذه النار»، تضيف المؤلفة في مكان آخر. تكتب: «أصول هذه النار هي التي أردت البحث عنها في محطات حياته».
وفي بحث المؤلفة عن «سرزفايج» وعن «أصول النار التي أشعلها»، ذهبت للتقصي في فيينا وفي سالزبورغ، حيث أمضى شطرا من حياته، في محاولة لفهم «العلاقة المعقّدة التي يمتزج فيها الحب والكره» حيال النمسا. كذلك دفعت بها تحرياتها إلى «بيتروبوليس» في البرازيل حيث انتحر هو وزوجته معا على خلفية «حالة من اليأس».
كان زفايج أثناء حياته محطّ اهتمام النخب في أوروبا. لكنه نجح في استثثار اهتمام الجمهور العريض اليوم حيث لم يصبح في عداد «أولئك الكتّاب نصف المنسيين ممن عاصروه» كما تكتب المؤلفة وتضيف: «زفايغ يشعّ دائما».
ولا يزال يجذب الآخرين ولا يزالون يحبّون أسلوبه السريع والواثق وحساسيته لا تزال زاخرة بالحياة».
وترى المؤلفة أيضا أن هناك سببا آخر لاستمرار الاهتمام بأعمال ستيفان زفايج وهو أن «الظلال الخفيفة وسحب الدخان المتناثرة في أعماله ربما تتناظر جيّدا مع أشكال قلقنا وأشكال عذاباتنا الحاضرة».
الملامح الأساسية التي تقدمها المؤلفة لشخصية زفايج هو أنه كان كريما في الصداقة ومسالما ثم ملتزما في السياسة.
لكن الأحداث المأساوية التي ارتبطت بنشوب الحربين العالميتين «أرغمته» على أن يتخذ موقفا. وكان موقفه هو «الانتحار مع زوجته» بنفس اللحظة احتجاجا على الحرب. تتم الإشارة هنا إلى أن امرأتين كان لهما مكانة خاصة في حياته هما زوجته «فريديريك» وسكرتيرته «لوت التمان»، التي غدت زوجته الثانية ورافقته حتى آخر يوم من عمره.
لكن ما تكشف عنه المؤلفة هو أن زفايج الذي كان يظهر للجميع أنه «رجل زاهد وجدّي»، إنما كان بـ«حاجة» طوال حياته لـ«مغامرات قد تدوم ساعات أو شهور».
تتم الإشارة إلى أن زوجته الأولى فريديريك «تعبت» من «متطلباته» ومن «مغامراته العاطفية» وانفصلا في عام ١٩٣٢ وكانت قد هربت إلى باريس عام ١٩٣٨ تاركة خلفها عددا من المخطوطات التي وضع النازيون يدهم عليها.
أما زوجته الثانية «لوت التمان»، فإن «قربها من كل ما كان يحبه، هو الذي أيقظ غريزة الحب عنده»، كما تكتب المؤلفة.
وتشرح أن هذه «المعجبة الأبدية» حاولت عبثا أن تثنيه عن الانتحار ودفع بها إخلاصها له إلى الموت بجانبه، ومشاركته رفضه للحرب.
وكان زفايج قبل وصول هتلر والحزب النازي إلى السلطة في ألمانيا، قد اضطر لمغادرة النمسا عام ١٩٣٤ كي يعيش متنقلا من فرنسا إلى انكلترا ثم الولايات المتحدة قبل أن يستقر نهائيا في البرازيل حيث «بدا له أنه ربما يستطيع أن يعيش سعيدا بعيدا عن ضوضاء الحرب». لكن «نزعته السلمية» كما ترى المؤلفة، منعته من تحمل ذلك «النزوع الحيواني لدى البشر».
وفي مواجهة ذلك، واحتجاجا عليه، قام بكل «هدوء وصفاء» بتنظيم انتحاره برفقة «لوت». ولم ينس أن يقول وداعا لأصدقائه ولأسرته وأن يكتب كذلك وصيته.
وتنقل المؤلفة عنه كتابته لفريديريك، زوجته الأولى، الذي حافظ معها على صداقة عميقة، ما مفاده: «أكتب لك هذه الرسالة وأنا في الساعات الأخيرة من حياتي. لا تتصوري كم أنا أحس بالسعادة بعد اتخاذي هذا القرار».
لقد احتسى ستيفان زفايج كمية كبيرة قاتلة من «الفيرونال» واستلقى على فراشه، ثم التحقت به «لوت»، وهي بثوب الحمام، وفعلت الشيء نفسه. لم يفهم أصدقاء زفايج فعلته. وأعلن صديقه توماس مان موقفا ناقدا بشدة لها متهما الراحل بـ«الأنانية».
وسيرة حياة كاتب يحظى باهتمام الجميع، ويشيدون بالتزامه وبمواقفه العامة، علما أن المؤلفة تؤكد أن جميع أعمال ستيفان زفايج، باستثناء «لاعب الشطرنج» بعيدة عن السياسة. وتؤكد أن وضعه حدا لحياته «منتحرا» احتجاجا على الحرب وعلى النازية أعطاه الكثير من الصدقية عبر التطابق بين ما فكر به وما فعله.

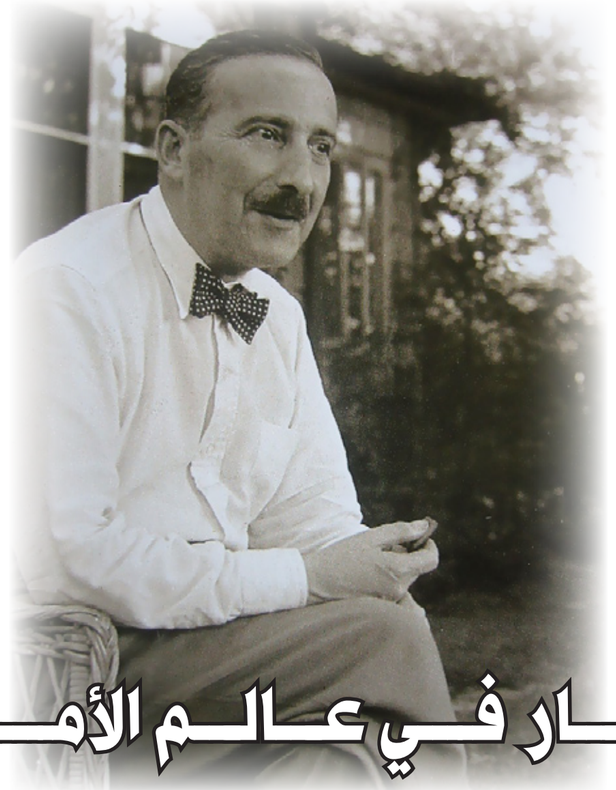

دوّن ستيفان زفايج مذكراته الموسومة (عالم الأمس) في لحظة حرجة من تاريخه الشخصي وتاريخ العالم. ففي مطلع الأربعينيات من القرن الماضي كانت الحرب العالمية الثانية في أوج احتدامها، فيما كان هو في البرازيل يخطط للانتحار مع زوجته. وبدا كما لو أن كتابه، هذا الأخير، كان بيانا ختاميا مؤسيا لحياة لم تسر على ما يرام. وقد حاول بحرص شديد أن يبقي على اتزان ذهنه، وصفاء ذاكرته، وهدوء نفسه، وهو يتصدى للكتابة عن ستة عقود شهد أحداثها، لا سيما في أوروبا، منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر، وحتى ساعة انتحاره في منفاه بمدينة بتروبوليس البرازيلية في العام ١٩٤٢. حيث جرت وقائع حربين عالميتين طاحنتين. وصعدت في غضون ذلك حركات سياسية كبرى متصارعة كالشيوعية والفاشية والنازية. ومعها رأت النور مدارس وفلسفات الحداثة في حقول الأدب والفن والفكر. فيما تغير الواقع الجيو سياسي للقارة العجوز تحت وطأة الصراعات والمؤامرات والحروب. وما أراد زفايج نقله للقراء في نهاية الأمر ليس تفاصيل سيرته الذاتية وحسب، وإنما رؤيته لتحولات عصره، بعدّه شاهدا من طراز فريد، على ما جرى حقا في تلك الحقبة العاصفة. فكتاب (عالم الأمس/ ترجمة: عارف حديفة.. دار المدى. دمشق/ ٢٠٠٧) هو شهادة يعتد بها عن جيله وزمنه، أدلى بها وكأنه يرمي إلى التخفف من عبء باهظ يثقل كاهله، وقبل أن يضع حدا، باختياره الحر، لحياته، في منفاه البعيد. ومن يقرأ الكتاب بروية يدرك أي قدر من المرارة والغضب كانت روحه تنطوي عليه، وكم عانى من أجل ألاّ تظهر بين سطوره تلك المرارة وذلك الغضب، بالحدّة التي كان يشعر بها في أعماقه.

سعد محمد رحيم

ذلك الانهيار في عالم الأمس لستيفان زفايج

لم يكن من بين برجوازيي ومثقفي ذلك الزمن من يفكر بالحرب والخراب، وكأن الحرب لم تكن سوى ظاهرة تخص العصور السالفة الهمجية، والجاهلة، والعمياء التي لم تكن قد اكتشفت فتنة الحياة بعد. كان ذلك الوهم يستحوذ على العقول، ويبلّد نوعا ما الحس السياسي الواقعي السليم، فيما شبح الحرب يتسلل خفية، والناس غافلون، إلى شوارع أوروبا الخفية، ويحوك شبكته المميتة في أقبية السياسة والمصالح الهوجاء.. كانت شهوة السلطة، كما هو شأنها في كل زمان ومكان، تحفر عميقا، ومن دون حساب للثمن الإنساني الفادح، تحت السطح البراق، للإطاحة بما هو قائم وتدميره.

تحدر تسفايج من عائلة يهودية موسرة، وعاش طفولة ومراهقة آمنتين. أما بيئته فكانت محافظة، عموماً، لها تقاليدها الصارمة، لاسيما في مجال العلاقات العاطفية بين الجنسين. وعلى الرغم من إقباله المحموم، مبكراً، على تثقيف ذاته، إلاّ أنه كان متذمراً من مدرسته الثانوية بمناهجها المتحجرة، وقوانينها الصارمة: "كانت المدرسة بالنسبة لنا إكراهاً، وبرماً، وانقباضاً، مكاناً نضطر فيه إلى (تعلم ما لا يستحق التعلم) بمقادير دقيقة". وقد فهم، ولكن بعد حين، أن هذا الأمر كان مقصوداً حيث تخشى السلطات الشباب وشغفهم بالتغيير والتحولات السريعة، ولا تثق بهم. فرسالة تلك المدارس، كما يقول: "لم تكن، في الحقيقة، تسهم في تقدمنا، بل في تأخير نموّنا، وألاّ تصوغنا من الداخل، بل أن تعدّنا بأقل ما يمكن من التعارض مع الخطة المرسومة، وألاّ تزيد مقدراتنا، بل أن تخضعها للتحكم وتسطحها". وكذلك، لم يجذبه أي فرع، أو أي أستاذ. وكان قد لم تكن الدراسة في الجامعة مغرية له.. مُنح الحرية كاملة، من قبل عائلته، في أن يختار مجال تخصصه، بيد أن طريقة التعلم والاختصاصات كلها لم تكن لتشبع نهم شخص له طبيعته وميله إلى الإنتاج الإبداعي. وأخيراً اتجه نحو دراسة الفلسفة، لا تلبية لنداء داخلي، وإنما لأنها النوع الأقل إزعاجاً له. وفي هذا الوقت أضحى يكتب القصائد وينشرها في الصحف والمجلات، حتى جاءته اللحظة السعيدة حين وافقت دار نشر كبرى على طبع مجموعته الشعرية الأولى. وكانت المفاجأة لما طلب منه الموسيقار الشهير ماكس رجنر تلحين ست من قصائدها.. يقول: "إن أشعاري المهملة منذ عهد بعيد قد حملتها عبر الزمن موسيقا فنان كبير". أتاحت له شهرته التعرّف على أهم شعراء عصره وكتّابه وفنانيه. وهربا من عقدة الأمان التي زرعها فيه يسر حياته وغناها المادي فقد مال بروحه نحو أولئك الذين تُطلق عليهم تسمية الأفراد ذوي القلوب الوقّادة، الذين هم بلا هدف، ويبددون ويزدرون كل شيء. وهذا ما جعله مفتونا بالغرائب. وفيما بعد راح ينزع نحو رسم الطبائع العنيفة الجامحة في قصصه ورواياته.

وفي باريس، في أوج سني فتوته وشبابه جال في الشوارع بحثاً عن "باريس هنري الرابع، ولويس الرابع عشر، ونابليون الثورة، عن باريس ريتيف دولا بريتون، وبلزاك، وزولا، وشارل لويس فيليب، بكل شوارعها وشخصياتها وأحداثها". التقى أدباء كبار، وتنقل بين المسارح ومعارض التشكيل وقاعات الموسيقى، وارتشف بلذة قصوى من منابع الفنون.. دخل مرسم رودان، وألفى نفسه غير قادر على الكلام وهو يقف بين تماثيله، وكأنه أحدها، كما يصف لنا. كان مرتبكاً، روحه ترتعش في حضرة الفن الملهم، الحقيقي. وودّ لو يقبّل يد ذلك الفنان الكبير بعدما يقي يراقبه لساعة وهو يرسم في محترفه: "لقد رأيت في تلك الساعة السر الخالد لكل فن عظيم". وصارت أوروبا كلها فضاءه الروحي والإبداعي.. ذهب إلى إيطاليا وإنكلترا وبلجيكا وهولندا وغيرها من البلدان، جاعلا من شقة له في "فينا" مجرد موطئ ومرسى، يعود إليها من أجل الراحة والانطلاق ثانية فيما بعد. ولكن، من الغريب، في هذه الأونة، أن يطغى عليه إحساس بأن كل شيء حوله مؤقت، وإلى زوال. ولذا لم يرتبط بقوة بأي مكان. ذلك الإحساس سيعينه في مواجهة الصدمات بعد سنوات قليلة حين يشرع ذلك العالم الآمن والمترف والمسالم حوله، ومثلما يبدو في ظاهره، بالانهيار بفعل وحش الحرب.

كانت رؤيته آنذاك إلى كل مكان يزوره رومانسية حالمة. وقد رأى في أمريكا التي عبر المحيط إليها بأنها "والت وايتمان، وأرض الإيقاع الجديد، وعالم الأخاء القادم". ويبدو أن روحه المترعة بالشعر والموسيقى والألوان كانت تعجز في ذلك الوقت عن تحسس دبيب الخطر القاتل الذي يسري تحت جلد العالم الغربي برمته.. لم يفهم لماذا كانت على أوروبا أن تذهب إلى جحيم الحرب وتنتحر. وتفسيره الذي يعطيه يجانب واقع الحال، حيث يتصادم المصالح ويستعر الصراع من أجل السيطرة على مصادر الثروة في المستعمرات، وحيث تبحث كل دولة قومية رأسمالية عن مناطق نفوذ أكبر على حساب منافسيها، وحيث يعمي الجشع والغرور والتعصب نفوس بعض الناس.

يكتفي تسفايج بالتلميح إلى أن كل دولة شعرت "بأنها قوية على حين غرة، ونسيت أن كل دولة أخرى شعرت بالشيء ذاته، وأرادت المزيد، وأرادت شيئاً من الدول الأخرى". وأمن مع أبناء جيله من المثقفين البرجوازيين بأن همس العقل سوف يُسكت صوت الجنون في اللحظة الأخيرة، غير أن ذلك الصوت كان من العتو والوحشية إلى الحد الذي أطاح بالعقل، ليفتك، من ثم، بالبشر والعمران.

ومن واديهم السحري وثق المثقفون أولئك، ومنهم تسفايج، بالعالم والأدب. وتصوروا أن أعمالاً فنية وأدبية رفيعة يمكنها أن تُعيد المهووسين بالحرب إلى رشدهم. "وفي ساعات الحماسة العديدة توهّمنا أننا رسمنا طريق الخلاص للعالم. ولكن العالم قلّما همتّه تلك التجليات الأدبية، ومضى في سبيله المشؤوم". وغادر الشبان إلى الحرب بجذل، وبكراهية غير مفهومة للآخر/ العدو. غير أنهم سرعان ما اكتشفوا أن الحرب أبعد ما تكون عن النزهة ورومانسية البطولة مثلما تخيلوها، بعدما تناثرت الجثث في الخنادق وتعفنت، وامتلأت المدن الخربة بالمعاقين والمتشردين والجوعى، وسار الجميع في درب الآلام. وكان أشد ما يضايق تسفايج هو أن كثراً من أصدقائه الحميمين ينتمون إلى تلك البلدان التي تحاربها بلاده. وفي سويسرا سيزور رومان رولان الفرنسي في غرفته الصغيرة: "كنت مدركاً أن الصديق الذي أواجهه أهم رجل في ذلك الوقت العصيب، وأن ضمير أوروبا الأخلاقي كان يتكلم من خلاله".

انتهت الحرب العالمية الأولى، وهُزمت ألمانيا، ومعها بلاده النمسا، فعاد إليها وقد احتشد في العاصمة وحدها مليونا جائع وبردان. وإذذاك شعر بمسؤوليته الأخلاقية في أن يجعل من فنه وسيلة لتجاوز الهزيمة. وهنا يبدأ بسرد تفاصيل ذلك الكفاح المرير الذي خاضه أبناء جلدته من أجل الحياة والحرية. وكان رد الفعل هائلاً على العالم القديم وتقاليده ومثله الزائفة. ورغب الجيل الجديد بالتمرد على كل ما يمت بصلة إلى الماضي، وصياغة قدره الخاص، والتحليق في المستقبل. وتجلى هذا الأمر بأوضح ما يكون في ميادين الفنون والآداب "فقد أعلن الرسامون الجدد أن كل ما أبدعه رمبرانت، وهولباين، وفيلاسكويز قد انتهى أمره، وشرعوا في أكثر التجارب التكعيبية والسريالية إغرابا وخيالية. ففي كل شيء أقصى العنصر المفهوم: اللحن في الموسيقا، والشبه في اللوحات، والوضوح في اللغة".

عاشت بلاده النمسا أسوأ سنواتها بعد الحرب، نفسياً بشعورها بعار الهزيمة والذل، واقتصادياً بشيوع التضخم والبطالة والفقر والخراب، وسياسياً بتقلص مساحة الإمبراطورية وفقدانها هيبتها. وعلى الرغم من مرور ما يقارب العقد (١٩٢٤-١٩٣٣) من السلام، قبل أن يجلب الفوضى لأوروبا والعالم ذلك الرجل الذي اسمه هتلر. فألمانيا المجاورة، بشعبها المنضبط وروحها العسكرية، والتي نعمت بالحرية أخيراً، لم تعرف ماذا تفعل بهذه النعمة، ولهذا سلّمت زمام مصيرها ثانية لمن يريدون سلب تلك النعمة/ الحرية منها. وهكذا كان. وما سعّر حقد الألمان وجعلهم يتقبلون هتلر بحماس هو التضخم كما يقول تسفايج. هتلر الذي استطاع بمكره أن يخدع الجميع ويمهّد للفوضى القادمة. "إن هتلر لم ينجز شيئاً أبرع من هذه الطريقة في تلمس طريقه على مهله، والضغط المتواصل، مع تزايد القوة، على أوروبا التي كانت متضائلة أخلاقياً، ثم عسكرياً أيضاً". ونُفذت الخطة الجهنمية: عسكرة المجتمع، وبناء الدولة البوليسية، وزرع الخوف في النفوس، وقمع الحريات بأشد الوسائل قسوة، وإحراق الكتب وإعدامها قبل الإقدام على تصفية المعارضين من البشر.

"وهناك كانوا يثبتون الكتب بالمسامير على آلة التشهير الخشبية على عادة الألمان القدماء... وقد حصلت أنا على نسخة أحد كتبي مثقبة بالمسامير هدية من طالب صديق كان قد استردها بعد تنفيذ حكم الإعدام بها".

تواصل تسفايج، في الفترة ما بين الحربين، مع كتّاب وفناني ومفكري عصره الكبار.. منهم الروائي مكسيم غوركي، والموسيقي شتراوس، والرسام سلفادور دالي، وعالم النفس الأشهر فرويد. وظلت سوق كتبه رائجة، تباع منها مئات آلاف النسخ، وهذا ما أزعج هتلر شخصياً، فسجل تسفايج هذا الأمر كشيء سار في حياته. وكان في قرارته يحدس بالكارثة التي تلوح بذرها. "بدا لي أن أوروبا يحكم عليها جنونها بالموت، أوروبا موطننا المقدس، مهد حضارتنا العارضة وهيكل آلهتها". وكان محتّماً عليه أن يبدأ رحلة الهجرة والتشرد ثانية، وأن يواجه نظرات الحقد والريبة من مواطني البلدان الأخرى لأنه ينتمي إلى الأمة التي تحاربهم. ويصف بدقة مؤلمة حالة المهاجر والمنفي الشعورية، هو المواطن العالمي مثلما يصف نفسه، إذ "يأخذ احترام الذات بالتضاؤل، وكذلك الثقة بالنفس... لقد دُمّر إلى الأبد تطابقي الطبيعي مع أصل ذاتي وجوهرها... واستحوذ عليّ شعور بأن عليّ أن أعبّر عن امتناني عن كل نسمة أحرم منها شعباً أجنبياً". وعلى الرغم من أنه كان مؤمناً بأن العالم سيتخطى هذه المحنة الرهيبة، ولكن أنهكه، وأرهق ذهنه، تساؤل مؤداه: كم مطهّر وكم جحيم على ذلك العالم اجتيازه قبل ذلك؟.

في ١٥ آب ١٩٤١ رحل إلى البرازيل مع زوجته إليزابث شارلوت زفايج، وفي ٢٣ شباط ١٩٤٢ انتحرا معا بعد أن كتب رسالة شكر للبرازيل الكريمة التي وفرت له أسباب الراحة.. يقول في نهاية رسالته تلك: "تحياتي إلى كل أصدقائي عسى أن تتسنى لهم رؤية الفجر بعد هذا الليل الطويل! وها أنا أتقدمهم، وقد فرغ صبري تماماً".

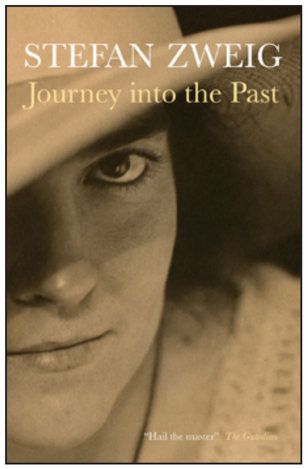

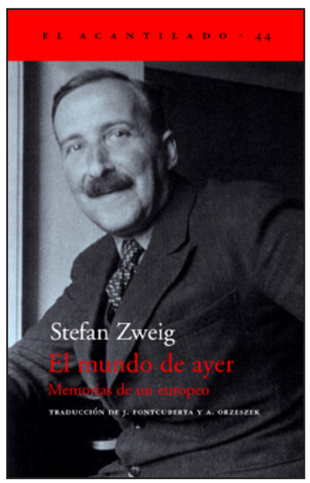

أتاحت له شهرته التعرّف على أهم شعراء عصره وكتّابه وفنانيه. وهربا من عقدة الأمان التي زرعها فيه يسر حياته وغناها المادي فقد مال بروحه نحو أولئك الذين تُطلق عليهم تسمية الأفراد ذوي القلوب الوقّادة، الذين هم بلا هدف، ويبددون ويزدرون كل شيء. وهذا ما جعله مفتونا بالغرائب. وفيما بعد راح ينزع نحو رسم الطبائع العنيفة الجامحة في قصصه ورواياته.

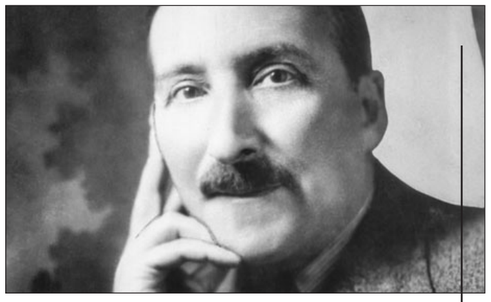

ساعات القدر في تاريخ البشرية

خالص جلبي

كتب العقاد ساعات بين الكتب فأجاد. واتبعت مكتبة الملك عبد العزيز تقليدا جميلا في استدعاء المثقفين لرواية تجربتهم مع الكتاب، وعلى المرء أن يتبع تقليدا مثمرا في حياته، ألا يمر عليه أسبوع إلا وقرأ كتابا، واطلع على موضوع مثير، وهذا يعني أن يزور المكتبات كما يزور الناس أبكيا للمفروشات، والمولات للتسوق والانتفاخ بالهامبورجر والأيس كريم.

وتضييع الوقت سهل، ومن الصعب على شعب ثرثار التنبه لوقع أقدام الوقت الهارب. وأعظم رأسمال هو الوقت. وهو عند البعض يعني المال، ولكنه أعظم من المال فهو رصيد الجنة أو النار.

والإنسان كمعادلة هو مجموع لحظات الجهد الواعي، مع ملاحظة الاستجمام بين لحظات الإنتاج، وليس العكس فتكون الحياة كسلا وبطرا وغيبة وأكلا وجماعا، مع لحظات نادرة للنمو المعرفي، فهذه هي حياة الكافرين، الذين يتمتعون ويلهيهم الأمل ويأكلون كما تأكل الأنعام.

وأنا أعرف ضعف المكتبات ونـدرة الكتب الجيدة، وأزعم لنفسي أنني اصطدت خلال أربعين سنة من حياتي ٤٠٠ كتاب، يمكن أن توصل الإنسان إلى سدرة المنتهى في التحصيل العلمي، الذي ليس له سقف وقرار وعمق، وفوق كل ذي علم عليم، ولكنها جزر في محيط لا شواطئ له.

وفي هذا الأسبوع انتهيت من كتاب (ساعات القدر في تاريخ البشرية) للروائي النمساوي ستيفان زفايج، واطلعت على كتاب (كيف تقرأ كتابا) لفان دورن وأدلر، وكذلك (ينبوع الشباب) لروبرت سيباستيان، وكلها كتب رائعة ينصح بالاطلاع عليها لمن عنده صبر القراءة.

كتاب زفايج ١٤ محطة في التاريخ الإنساني، يزعم فيها الروائي أن تاريخ الجنس البشري فيه تغير وحسم، وهو ينهج نفس نهج كتاب سبع معارك فاصلة، أو ذلك الذي صنّف أهم مائة وسبعة عشرين كتابا في تاريخ العقل، أو (مايكل هارت) الفلكي الأمريكي الذي سرق كتابه كاتب عربي، ورصع اسمه عليه، بعنوان المائة الأعظم في تاريخ البشر أولهم محمد ص، ووضع الثاني إسحاق نيوتن.

ونحن نفخر بالأول، ولكن الثاني تحكم؟

وزيفايج يذكر قصصا عجيبة عن باب منسي (كيركا بورتا) في السور الداخلي سمح للعثمانيين بولوج سور القسطنطينية.

وأعظم شعر كتبه جوتة من لحظة قبلة من أولريكه فون فولستوف بنت ١٩ ربيعا وهو ابن ٧٤ عاما، وشيشرون أبو الجمهورية كيف أضاع اللحظة الخالدة، بعد مقتل قيصر في استعادة الجمهورية فدلفت روما للحرب الأهلية.

وودرو ويلسون صاحب المبادئ الـ ١٤ لعصبة الأمم كيف تمكن منه السياسيون كليمنصو وأشباهه في ١٥ نيسان ١٩١٨ في مؤتمر الصلح في باريس؛ فذهبت مبادئه أدراج الرياح، وسلم الراين والألزاس لذئاب السياسية الفرنسيين ففتح الباب للحرب العالمية الثانية.

وكيف ضاعت وارتلو من يد نابليون، بحماقة الجنرال غروشي الذي أضاع الفرصة الخالدة بالاتباع الحرفي للأوامر؛ فضاع في غابات بوهيميا خلف الجيش البروسيي المهزوم مطاردا، والألمان كانوا في وارتلو مع ولنجتون يطحنون ناي ونابليون والجراند أرمي الجيش العظيم. وبطل اكتشاف القطب الجنوبي سكوت وهو يخط الأسطر الأخيرة لزوجته ويقول زوجتي ثم يشطب ويقول أرملتي فقد وصلوا القطب ولكن أموتا؟

وكذلك قصة مد كابل التلغراف بين أوربا وأمريكا، في ملحمة من أعظم ملاحم العلم والتقنيات، على يد سايروس فيلد، والفشل المتكرر الذي لا يحطم إرادة العظماء؟

وقصة الغربال المثشوم في كاليفورنيا، حين اكتشف الذهب في أرض سوتر؛ فلم تبق أرضا ومات فقيرا، وهو يمتلك إمبراطورية من الذهب الخالص ولكن بيد الحرامية وليس بيده؟

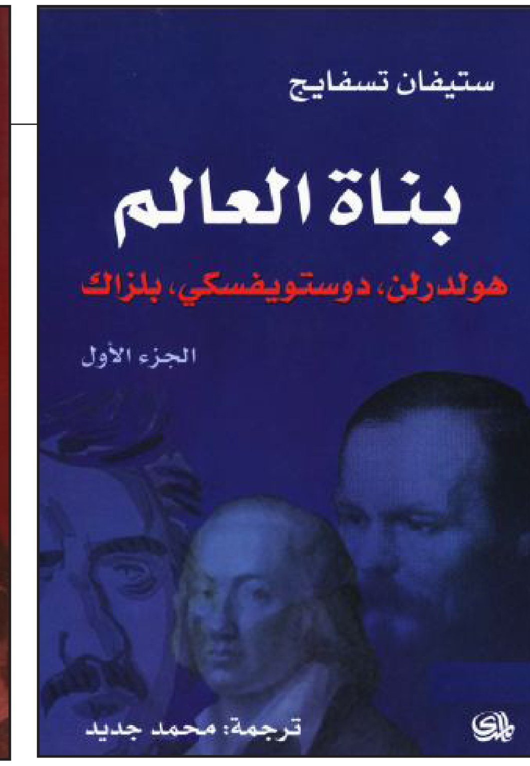

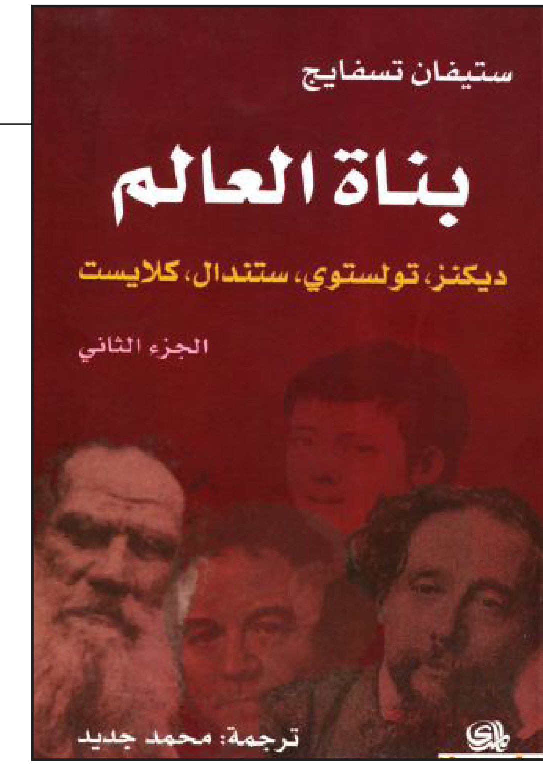

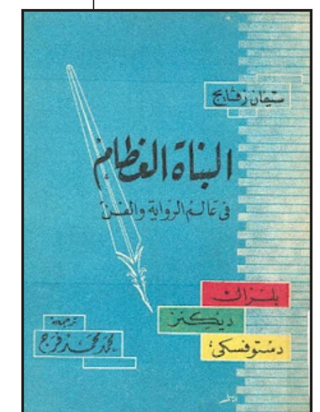

الكاتب والمفكر النمساوي ستيفان زفايج (١٨٨١-١٩٤٢) له شهرة واسعة بكتاباته في شتى المجالات من شعر ورواية وقصة قصيرة ومسرحية، لكن حظيت دراساته التي حاول عبرها سرد تفاصيل حياة عدد كبير من عباقرة العالم باهتمام منقطع النظير كما ترجمت هذه الدراسات الى لغات عالمية مختلفة لابتعاده عن الأسلوب التاريخي أو التوثيق واعتماده على التفسيرات النفسية والسيكولوجية ودراسة الشخصيات التي اختارها بطريقة تعتمد بشكل أساسي على نتاجها الفكري أو الأدبي بطريقة التحليل والاستقصاء والاستقراء وهو الأسلوب الذي امتاز به تسفايج عن غيره من الباحثين،

ومن أهم دراسات زفايج المترجمة للغة العربية مجموعة ترجمها عن اللغة الألمانية الأستاذ محمد جديد ليضعها في كتاب (بناة العام) الذي جاء في جزءين، الأول نشر عام ١٩٧٠ وتناول الشاعر الألماني هولدرلن، والروائي الروسي فيدور دستويفسكي، والروائي والقاص الفرنسي بلزاك، والثاني نشر عام ١٩٩٣ وتناول حياة وأعمال الروائي الانكليزي تشارلز ديكنز والروائي الروسي تولستوي والروائيين الألمانيين ستاندال وكلايست وكلا الجزءين من القطع المتوسط طبعت في دار المدى للثقافة والنشر في دمشق - سوريا.

بنـاة العـالـم

عرض: زينة الربيعي

والقارئ للكتاب يلاحظ مدى استفادة زفايج من دراسته علم النفس الذي كرسه أيضاً في كتاباته للروايات النفسية، واختلفت أحجام الفصول التي خصصت للمبدعين كل حسب أهميته وطبيعة ابداعه، كما هو الحال مع دستويفسكي وتولستوي اللذين حظيا بمساحة واسعة جداً من حجم الجزءين، كما اعتمد زفايج على أسلوب مبتكر في تعريفه لأبطال دراساته عندما جعلهم يعرفون عن نفسهم عبر اقتباسه لأجزاء صغيرة مما كتبوه ليفتتح بها كل واحد منهم للفصل المخصص له، ليتابع بعدها زفايج الغوص في تفاصيل أعمالهم وابداعاتهم لتتحول فصول كتابه الى مرآة تعكس جميع الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية لأوروبا في مراحل مختلفة من القرن التاسع عشر التي تأثر بها أصحاب فصول الكتاب وحولها وأعادوا صياغتها بأسلوبهم الخاص الذي يتعدى جميع الحدود الضيقة ويتحول الى رسالة عالمية تلامس الانسانية جمعاء، هذا ما يؤكده زفايج في مقدمة دراسته عن دستويفسكي حيث يقول: (انه من الأمور الصعبة والتي تزيد المسؤولية أن يتحدث المرء عن فيدور دستويفسكي وأهميته بالنسبة الى عالمنا الداخلي حديثاً له قيمة، لأن اتساع مدى هذا الوحيد وجبروته يقتضيان مقياساً جديداً. ذلك لأنه يخيل للمرء للوهلة الأولى أنه يجد عملاً مغلقاً على نفسه، وأنه يجد أديباً، ثم يكتشف شيئاً لا حدود له، كوناً له كواكبه الدوارة الخاصة به وموسيقاه الأخرى التي تتردد في أجوائه)، ويبين الكاتب جانبا اخر من ماساة حياة دوستويفسكي حيث يبين ان الخوف هو الانطباع الاول الذي يتولى المرء دائما اتجاه ديستويفسكي، والانطباع الثاني فحسب هو انطباع العظمة.على ان مصيره ايضا يبدو اول الامر لدى النظرة العابرة قاسيا فظا بمقدار مايبدو محياه فلاحيا وعاديا.ويحس المرء بذلك اول الامر تعذيبا لامعنى له ،ذلك لان هذه السنوات الستين تعذب الجسد المتداعي بكل ادوات التعذيب فمحك المحنة يجلو الحلاوة عن شبابه وعن شيخوخته ومنشار الالم الجسدي يصل في عظامه ومسمار الحرمان الحلزوني يتغلغل فيه بقسوة حتى يبلغ عصب الحياة ،وترتعد اسلاك الاعصاب المشتعلة وتنتفض في غير انقطاع خلال اعضائه،ولم يذخرعذاب ولم ينس تعذيب

ويبدو ان هذا المصير اول الامر قسوة لامعنى لها لانه كان يراد ان ينحت منه شيء خالد وانه كان هائلا ليكون ملائما لرجل هائل.ولايشبه طريق حياته في اي نقطة من نقاطه الطريق العريض الممهد تمهيدا جيدا والذي سار عليه كل الادباء الاخرين في القرن التاسع عشر ويحس المرء هنا دائما بأله للقدر غاضب يجد متعة في ان يختبر نفسه اختبار قويا قاسيا مع اقوى الناس فمصير دستزيفسكي مصير مطبوع بطابع العهد القديم من الكتاب المقدس ،مصير بطولي وليس فيه شيء من العصر الحديث والحياة المدنية العادية.

والشخصية الاخرى التي تناولها ستيفان زفايج في دراسته هو هلودرن ويبدأ الفصل بالحديث بمقولة مهمة في" موت امبدوقل" ((لقد كان الليل والبرد خليقين ان يسودا الارضين وكانت الروح خليقة ان تجهز على نفسها لو ان الالهة الخيرة لم تبعث من حين الى اخر بمثل هؤلاء الفتيان، لتنعش حياة الناس الذابلة))

القرن الجديد ،القرن التاسع عشر ،لايحب شبابه فقد نشأ جيل متوقد انه يندفع اندفاعا ناريا جريئا من كل مسارات الريح في وقت

واحد، من جلاميد اوروبا المتصدعة نحو شفق فجر حرية جديدة لقد بعث نفس الثورة الحياة في هؤلاء الفتيان.

وينتهي متحدثا بطريقة لاتخلو من الجمالية والدقة حيث يبين ان الصورة الفكرية تختفي لهولدرن في ركام النسيان اعواما وعقودا كما يختفي تمثال اغريقي في حضن الارض ولكن عندما ينقب عن الفلذة المبتورة اخيرا جهد ينطوي على الحب ويخرجها من الظلام يشعر جيل جديد،وقد تولاه العجب ،بنقاء صورة الفتى المرمرية الذي لا سبيل الى تعكيرهو وبمقاييس رائعة تنصب على صورة فتى الاغريقية الالمانية الاخير مرة اخرى،وتزدهر الحماسة كما كانت بالامس ،على شفته المترنمة،وتبدو كل الاربعة التي يبشر بها على السواء مخلدة في صورته الوحيدة وبجبهة المتنور المشرقة يخرج من موطن حافل بالاسرار عائدا الى عصرنا.

بلزاك

ولد بلزاك عام ١٧٩٩ في التورين،في اقليم الغيض في موطن رابليه المتسم بالمرح والعذوبة.في حزيران ١٧٩٩ ،والتاريخ جدير بان يكرر ،وقد عاد نابليون –وكان العالم الذي بعثت اعماله الاضطراب فيه مازال يسميه بونابرت– في هذه السنة من مصر الى وطنه ،نصف منتصر ونصف هارب.وكان قد قاتل تحت ابراج سماوية اجنبية، امام الشهود الحجريين من الاهرام ،ثم انسل الى سفينة ضئيلة بين سفن نيلسون الحربية المتربصة، متعبا،ليكمل في صلابة عملا بدأ بداية جليلة ،وجمع بعد بضعة ايام من وصوله حفنة من اتباعه ،وطهرالجمعية الوطنية ،وانتزع السيادة على فرنسا لنفسه بقبضة واحدة ،ويعد عام١٧٩٩ ،عام ميلاد بلزاك،بداية الامبراطورية، فالقرن الجديد ماعاد يعرف الجنرال الصغير،وماعاد يعرف المغامر الكورسيكي ، بل غدا لايعرف الا نابليون ،امبراطور فرنسا.

وتمر عشرة اعوام وخمسة عشر عاما –سنوات فتوة بلزاك – ومازالت الايدي المتعطشة الى السلطة تلف نصف اوروبا ،بينما تنتشر احلامه الطامحة بجناحي النسر على العالم كله من الشرق الى الغرب.ولايمكن ان يكون عمره غير ذي شأن بالقياس الى رجل كبلزاك الذي شارك بمعاناة كل شيء بهذه الحدة. ان يتطابق ستة عشرة عاما من النظرات الاولى الى ماحوله من سنوات الامبراطورية الست عشرة؛ سنوات تلك الفترة التي قد تكون احفل فترات تاريخ العالم بالخيال والابداع او ليست المعاناة المبكرة والقدر في الحقيقة مجرد وجهين داخلي وخارجي ،لشيء واحد؟

ولايمكن تناول علمه الفني بنظرة واحدة شاملة.ففي المجلدات الثمانين يقوم عصر،وعالم ،وجيل.ولم تجري من قبل ابدا محاولة واعية لاخراج عمل جبار كهذا ولم تكافأ جراءة ارادة عملاقة مكافاة افضل من هذه.فعمله يهب للمستمتعين المستريحين الذين يبتغون عند المساء،اذ يهربون من عالمهم الضيق ،صورا جديدة واناسا جددا ،وانفعالا ولهوا متغيرا ،لكتاب المسرح مادة لمئا ت المآسي ،وللعلماء فيضا من المشكلات والنقاط الحافزة على التفكير –مبعثرة هنا وهناك مثل فتات مائدة متخم بالطعام–، وللمحبين لهيبا من الوجد انموذجيا بصورة مطلقة. غير ان اكثر مافي عمله جبروتا وشموخا هو التراث الذي تركه للادباء ،ففي تصميم "الكوميديا الانسانية" توجد الى جانب الروايات المكتملة اربعون رواية غير مكتملة وغير مكتوبة احداها رواية موسكو ،وثمة اخرى(سهل فاجرام) وتتناول رواية غيرها القتال من اجل فيينا ،وتتناول اخرى حياة العاطفة ويكاد يكون من حسن الحظ ان هذه الاعمال لم تصل جميعا الى نهاياتها وقد قال بلزاك ذات مرة: "العبقري هو ذلك الذي يستطيع في كل وقت ان يقلب افكاره الى عمل غير ان العبقري الكبير جدا لايمارس هذا النشاط دائما اكثر مماينبغي".

الجزء الثاني من كتاب بناة العالم يتحدث عن مجموعة اخرى من الكتاب يتناولهم تباعا بطريقة طرح مميزة ومثيرة لفضول القارئ للاطلاع بشكل واسع حيث ابتدأ تسيفايج شارلز ديكنز حيث استهل الكلام بالقول "كلا ماكان للمرء ان يسائل الكتب والسير عن مقدار ماكان معاصرو شارلز ديكنز يكنون له من الحب فالحب لايعيش ويتنفس الا في الكلمة المنطوقة ولابد للمرء من ان يلتمس ان يروى له ذلك واحسن مايكون من لدن انكليزي يبلغ بذكريات صباه الى ذلك الزمان الحافل بضروب النجاح الاولى ، من لدن واحد من اولئك الذين لم يستطيعوا حتى بعد ما انقضى الخمسون عاما ان يعقدوا العزم على ان يسموا شالز ديكنز شاعر بكويك باسمه بل مافتئوا يطلقون عليه لقبه الاكثر الفة ولصوقا به البوظ (boz)".

ان ديكنز هو التعبير الادبي الاعلى على التقاليد الانكليزية بين قرن نابليون البطولي،والماضي الحافل بالامجاد والامبريالية، حلم مستقبله ،ولئن كان لم ينجز لنا الا ممتازا وليس شامخا عملاقا، مماندرته له عبقريته من قبل، فلم تكن انكلترا ولاعرقه ذاته هما اللذان عاقاه، بل اللحظة البريئة انها عصر انكلترا فيكتوريا.فديكنز يصف وصفا يبلغ من حدته وعنايته ودقته ان المرء يضطر الى متابعة نظراته التي تنوم مغناطيسيا، لم تكن له نظرات لزاك السحرية التي تدع اناس السحابة النارية يصوغون ذواتهم على نحو فوضوي من خلال التحرر من اهوائهم بل كانت له نظرة ارضية تماما نظرة بحار ،نظرة صياد ، نظرة صقر.

وتحدث الكاتب عن الروسي تولستوي الذي يعد من اعظم الروائيين ومن أعمدة الأدب الروسي في القرن التاسع عشر والبعض يعدونه من أعظم الروائيين على الاطلاق. وذكر الكاتب في كتابه ان كل عمل فني لايبلغ اعلى مراحله الا حين ينسى المرء نشاته الفنية ويحس بحياته واقعا ،وقد اكتمل هذا التبادل عند تولستوي مرارا فلا يجرؤ المرء ابدا على ان يحسب ان هذه الاقاصيص متخيلة وان شخصياتها مخترعة وهي تتقدم نحونا حقيقية محسوسة بهذا القدر وحين يقرأ المرء لايحسب انه فعل شيئا اخر سوى انه راى العالم الواقعي من خلال نافذة مفتوحة.

ويستمر الى نهاية الفصول المخصصة لهذا الروائي العظيم وبعدها يستمر بسرد الحديث النقدي والتحليل عن باقي الكتاب الداخلين ضمن مجلد(بناة العالم) باختيار موفق يدل على نباغة للكاتب.

ويحتوي الغلاف في نهايته على كلمات مضيئة تستدعي الانتباه حيث يكتب" تختفي الصورة الفكرية..في ركام النسيان اعواما وعقودا كما يختفي تمثال اغريقي،ولكن عندما ينقب عن الفلذة المفقودة اخيرا جهد ينطوي على الحب، ويخرجها من الظلام ،يشعر جيل جديد، وقد تولاه العجب بنقاء صورة الفتى المرمرية الذي لاسبيل الى تعكيره.

واستطاع زفايج بأسلوبه اللغوي المتميز الذي عرف عنه المزج بين السرد الروائي واللغة البحثية الجافة ليخرج بدراسات ممتعة ومفيدة، كما ساهمت الترجمة المتقنة التي عمل عليها الأستاذ محمد جديد بتقديم دراسات زفايج بأمانة مع المحافظة على روح النص.

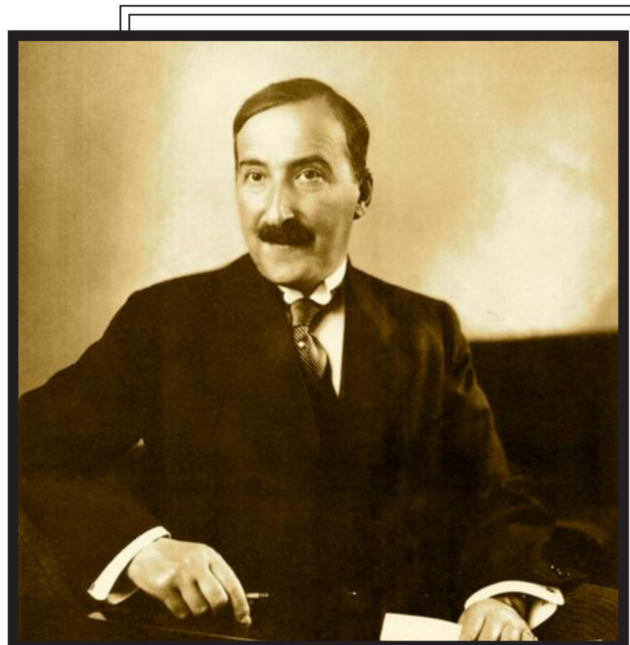

الكتاب: ستيفان زفايج – سيرة حياة

تأليف: اوليفر ماتوجيك

ترجمة: ابتسام عبد الله

ستيفان زفايج.. روايات وشهرة وانتحار

عندما انتحر ستيفان زفايج مع زوجته في البرازيل عام ١٩٤٢، أصبح اشهر كاتب في العالم، وعادة ما تؤدي مثل هذه الاحداث المثيرة الى قمة الشهرة وخاصة في الحقل الأدبي، اجل لقد حدث ذلك، ولكن اسم زفايج سرعان ما اصبح منسيا مع استمرار الحرب العالمية الثانية.

ويفضل كاتب سيرة حياة زفايج ان يدع الاحداث تتحدث عن نفسها، من والدين يهوديين ولكن علمانيين، كان والده ثريا يمتلك طاحونة، وتم رفض زفايج من الخدمة العسكرية لمرضه، ومع ذلك كان يمتلك حيوية متدفقة (وايضا المال)، لحضور كافة المناسبات الأدبية الأوربية، والالتقاء بالمشاهير هناك، ومن بينهم ريلكه ورودن في باريس.

كانت اولى أعماله الأدبية المنشورة (مجموعة قصائد) عام ١٩٠١، وسرعان ما اصبح ناجحا في الصحافة والدراسات المتعلقة بسيرة الاشخاص، ومع اندلاع الحرب العالمية، تم تعيينه في قسم الارشيف لوزارة الحرب النمساوية، وعلى الرغم من عمله ذلك، تمكن من الحصول على إجازات للسفر الى سويسرا، حيث كانت آراؤه حول اهمية السلم، تلقى ترحابا كبيرا.

بعد انقضاء الحرب، تزوج من امرأة مطلقة لها ولدان، حيث استقرا بعدئذ في سولزبرغ (دون الاولاد) – وكانت لزفايج علاقات حميمة مع العديد من النساء.

وفي أوائل العشرينات انتشرت شهرة مؤلفاته وكانت تلك المرحلة هي الذهبية في حياته، وارتفعت ارقام مبيعات رواياته، وكانت كل واحدة تنفذ في خلال اسبوع واحد (كانت كتاباته مثيرة وعاطفية، واسلوبها ساخر، وهو الاسلوب الذي اشتهر به.

ولكن العداء لليهودية والهجوم عليها سرعان ما حل في الثلاثينات، وبدأت الاتهامات توجه إلى زفايج لعدم كتابته بشكل جيد عن الالمان، وبدأت بعد ذلك عملية، "حرق الكتب" ، وفي عام ١٩٣٩، فتش رجال الامن منزله، وكان زفايج قد عاد توا من لندن، فحمل حقائبه عائدا اليها، وتبعته بعد ذلك زوجته – فريدريكا، وفد برر ذلك، بسبب طبع روايته في لندن وهي – حذار من الشفقة، وهذه الرواية حققت له اخيرا، شهرة واسعة في اوربا، وخاصة انكلترا وظهر على شاشة (BBC) عام ١٩٣٧، وكان من أوائل الشخصيات التي ظهرت على شاشة التلفزيون.

وفي بداية الحرب العالمية الثانية تم الطلاق بينه وبين زوجته، ثم تزوج زفايج اثر ذلك بسكرتيرته لوت التمان – الألمانية المولد، وقد انتقلا للعيش في باث، وكان زفايج آنذاك يعاني من كآبة شديدة، ولكنه عاد الى لندن ليلقي كلمة في جنازة سيغموند فرويد، وبعدها انتقل الزوجان الى نيويورك، ثم الى ريو وبعدها ريودي جانيرو.

وظل اثر ذلك كثير الترحال والسفر، حيث انتقل بعدئذ الى ريودي جانيرو والى تلال بيترو بوليس، وتحولت حياته الى دوامة غريبة لا مهرب منها.

وفي الـ٢٣ من شباط عام ١٩٤٢، وجدت خادمة البيت، الاثنان (زفايج وزوجته) قد فارقا الحياة، وهما على السرير، مع وجود رسالة تخبر بانتحارها، وكان السبب وراء الانتحار، تلاشي شهرة زفايج.

ان المتتبع لحياة زفايج، يحس بأنها غير مكتملة، بل ناقصة، ولكن هذا السبب قد يعود الى كآبة الكاتب الثري، وهي ايضا السبب في استمرار شهرته حتى اليوم.

عن الغارديان

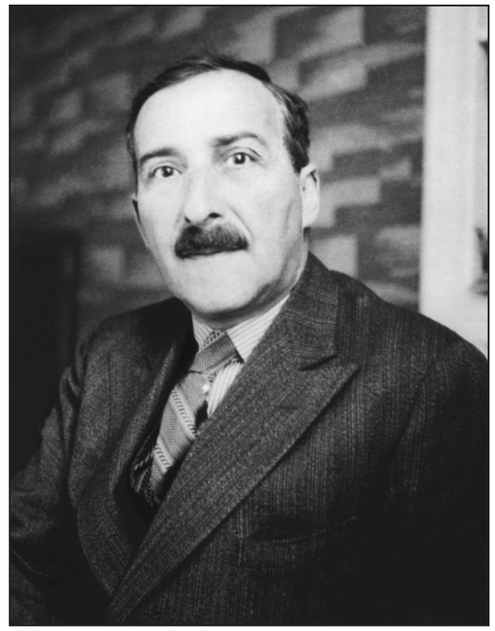

فوضى المشاعر
٢٤ ساعة في حياة امرأة
حذار من الشفقة
أموك
رسالة حب من امرأة مجهولة
الحب الجنوبي
قلوب تحترق
ماري أنطوانيت
و مسرحية واحدة هي:
بيت على شاطئ البحر

أهـم أعـمـال سـتـيـفـان زفـايـج

"" 24 ساعة من حياة امرأة""

تبدأ الأحداث في نزل صيفي في إحدى قرى الريفييرا الفرنسية. في ذلك النزل يحدث للمؤلف – الراوي – أن يشهد على فضيحة اجتماعية تدور من حول اختفاء سيدة من مدينة ليون، معروفة بكرم أخلاقها وبأنها سيدة شريفة وأم لأطفال محترمة. وهذه السيدة إذ تختفي يسود الاعتقاد بأنها «اختُطفت» على يد شاب معروف كزير نساء في تلك المنطقة. وبسرعة ينتشر الخبر ويدهش كل النساء بمن فيهن سكان النزل، من سرعة استجابة تلك المرأة لإغواء الشاب بعد ساعة من الحديث معه. لماذا فعلت هذا؟ كيف تخلت عن أسرتها؟ كيف باعت شرفها؟ كل هذه الأسئلة طرحت في وقت لم يجد فيه الناس، إذ نقبوا في تاريخ السيدة، أي شيء يوحي بأنها قد تقدم على فعل شيء من هذا القبيل يوماً. وهو غائص في أعماق أفكاره، تصله ذات لحظة بطاقة من سيدة إنكليزية عجوز، هي بدورها من المقيمين في النزل، وكانت قد تنبهت سابقاً الى أن هذا الكاتب يكاد يكون – مثلها – الوحيد الذي لم يبد أي احتقار تجاه ما فعلته المرأة الهاربة. وها هي العجوز الانكليزية تبلغ صاحبنا في بطاقتها، أنها تريد أن تروي له، فصلاً من حياتها يشبه الى حد ما، هذا الفصل الذي يعيشونه جميعاً الآن. لعل في روايتها للفصل ما يضيء بعض الشيء على ما حدث. فيوافق الكاتب على الإصغاء الى حكاية السيدة الإنكليزية "مسز سي". وهكذا، تتحول الرواية من حكاية السيدة الهاربة، الى حكاية "مسز سي"، التي تبدأ رواية حكايتها: لقد كنت أرملة في الأربعين من عمري، تركني زوجي المحبوب مع طفلي ورحل. وكي أخفف من وقع الحزن والترمل وموت الزوج الحبيب، قمت بسفرات عدة في أنحاء كثيرة من العالم، قبل أن استقر ذات مساء في كازينو مونت كارلو. وهناك اشهد بأم عيني كيف يخسر ويفلس وينهار شاب لطيف. وأدركت أن هذا الشاب قد قرر بينه وبين نفسه، أن ينتحر للتخلص مما أصابه، فقررت إنقاذه، لحقت به طالبة منه أن يلتقيني. في البداية يعتقد الشاب أني من فتيات الهوى اللواتي يصطدن الزبائن في الكازينوات، فرفض ملاقاتي، قائلاً بعصبية واحتقار إنه مفلس ولا يملك أي مال يعطيه لي. قلت له لا تحتاج مالك، بل أنا من ستعطيك مبلغاً كبيراً من المال، شرط أن تترك مونت كارلو، منذ صباح الغد. لم يجبني على هذا العرض، لكنه مع هذا يأخذني الى الفندق الذي يقيم فيه ونمضي الليل معاً. وخلال الأحاديث التي جرت بيننا تلك الليلة، روى لي ذاك الشاب كيف أن القمار قد دمر حياته وعواطفه، كما جعله يدمر كذلك مستقبله الذي باهراً في المجال الديبلوماسي. أنه وكما يقول، منذ أدمن القمار لم يعد يفعل أي شيء آخر في حياته. فقط يسعى الى تدبير مال يلعب به القمار، ثم يفلس، يقرر الانتحار. ثم يدبر مالاً ثم يلعب ويخسر وهكذا... الى درجة أنه ذات مرة، وفي سبيل القمار سرق قريبة له كانت وضعت كل ثقتها به. فقد كنت أصغي له بأسى ولوعة وتفهم... ثم حنوت عليه أكثر وأكثر جاعلة إياه يقسم أغلظ الإيمان بأنه، وكما طلبت منه، سيغادر مونت كارلو، منذ يفيق من النوم في صباح اليوم التالي. تطمئن المرأة الى قسمه وصدقه. وتغادرنا في الصباح، لأنظر الى شؤونها وحياتها، فيما هو يغادر مونت كارلو. ولكن عند المساء تفاجأت بالشاب غارقاً في اللعب. في البداية ربح ثروة وفيرة، لكنه بعد دقائق قد خسر معظم ما ربح. وحين اقتربت منه مطالبته الوفاء بما أقسم،ظل يصرخ في وجهي بغضب ونرنج أمام الناس جميعاً، ثم رمى في وجهي النقود التي أعطيته إياها أمس. شعرت بإهانة كبيرة. ولم يكن امامي سوى الرحيل تاركة مونت كارلو لأهلها ومقاميها. بالنسبة اليها انتهت مغامرة إنسانية دامت ٢٤ ساعة. لكن الحكاية نفسها لم تنته... إذ ها هي تقول للمؤلف إنها بعد تلك الحادثة بسنوات قليلة علمت بانتحار الشاب "لكنني لم أشعر بأي أسى أو حزن لانتحاره... بل أحسست بقدر كبير من الرضى... لأنه كان شاهداً مزعجاً على ما حدث لي معه ذات يوم في حياتي"...

"ماجلان قاهر البحار" - ترجمه حبيب جاماتي

عند فجر يوم الثلاثاء العشرين من أيلول من العام ١٥١٩ وقد أصبح يوماً تاريخياً فيما بعد رفعت السفن مراسيها ونشرت أشرعتها في الهواء وأطلقت المدافع تحية للبر الذي أخذ يختفي أمام نظر طواقم السفن الخمس، لم يسلك ماجلان الطريق المألوفة لعبور المحيط الأطلسي على الرغم من الاحتجاجات الصامتة لقادة سفنه، بل أبحر على الشاطئ الأفريقي نحو الجنوب ثم انحرف بسفنه إلى الجنوب الغربي ميمماً شطر ريودي جانيرو في البرازيل، وكانت سفنه جنوباً على الشاطئ الشرقي لأمريكا الجنوبية على مسافة لم تبلغها قبل سفينة أوربية، كما توقع ماجلان فقد حدث عصيان على سفنه، قاد العصيان دي كرتاجينا وكويسارا وكوكا وعنهم العصاة بقيادة السفينة سان أنطونيو إلى رجل ظهر اسمه للمرة الأولى أثناء العصيان جوان سباستيان دلكانو وهذا الرجل الذي وقع عليه الاختيار ليمنع ماجلان من تحقيق مشروعه هو نفسه الرجل الذي سيدفعه القدر كي ينجز العمل الذي بدأه الملاح العظيم ماجلان، رد ماجلان على العصيان بقسوة بالغة، وأعدم جسبارو دي كويسارا ثم ترك كرتا جينا وكاهن السفينة على الساحل أما دلكانو فقد صفح ماجلان عنه وتجاهل دوره في العصيان، استمر ماجلان في البحث الدؤوب عن منفذ إلى المحيط الهادي دون جدوى، وكان يدخل كل مصب نهر أو خليج واسع ظناً منه أنه يؤدي إلى المحيط الهادي ثم يعود بخيبة كبيرة، داهم الشتاء القاسي المستكشفين لكن الإرادة الحديدية لماجلان وثقته بالنصر الأكيد دفعاته نحو الاستمرار، لقد دمرت السفينة سنتياغو أثناء البحث، وقرر ماجلان التوقف لمدة شهرين في مصب أحد الأنهار الصغيرة ولم يكن يعلم أن إبحار يومين فقط سيصل به إلى المنفذ المنشود نحو المحيط الهادي، وعند الوصول إلى المنفذ قامت السفينتان كونسبسيون وسان أنطونيو عائدة إلى إسبانيا، وقامت السفن الثلاث المتبقية بعد ذلك بعبور المضيق الذي سمي فيما بعد بمضيق ماجلان وأبحرت صوب جزر الهند الصينية على مياه المحيط الهادي على الرغم من نفاذ المؤن، كان الإبحار في المحيط الهادي مملاً فهناك سكون وهدوء والسماء ما برحت صافية محرقة والأفق ينفسح لهم كلما أوغلوا فيه، ولم يكن يحيط بالسفن الصغيرة الثلاث إلا الفضاء الأزرق، وهي وحدها النفط المتحركة وسط ذلك الجمود الرهيب، اضطر الملاحون إلى أكل قطع الجلد التي تكسو عوارض الصارية الكبيرة بعد نفاذ المؤن، بعد مرور مئة يوم على مغادرة مضيق ماجلان وصلت السفن إلى الجزر التي عرفت فيما بعد باسم الفيليبين ومن هناك بدأت تنقلات السفن بين الجزر المختلفة في جنوب شرق أسيا، لقد أدرك ماجلان أنه حقق النصر المطلوب لكن القدر كان لماجلان بالمرصاد إذ يلقى الملاح العظيم حتفه في مناوشة حمقاء مع بعض السكان المحليين، قام رجال ماجلان بعد ذلك بتدمير السفينة كونسبسيون التي حدثت فيها ثقوب كانت لا تشك ستغرقها وانتقل الرجال إلى السفينتين المتبقيتين، وفي مرحلة تابعة توقفت السفينة ترينيداد لضرورة الصيانة ولم يتبق إلا السفينة فيكتوريا، هكذا يقود دلكانو السفينة فكتوريا متجهاً صوب جنوب إفريقيا ثم نحو الشمال إلى إسبانيا، وفي جزر الأس الأخضر اكتشف البحارة أنهم كسبوا يوماً بسبب دورانهم حول الأرض لعبورهم خط طول اليوم الدولي، وبعد جهد هائل تدخل السفينة فكتوريا نهر الوادي الكبير، وبأمر من دلكانو تطلق من مدافعها للمرة الأخيرة إيذاناً بحلول لحظة النصر النهائي، وفي ٦ أيلول من العام ١٥٢٢ انتهت أعظم رحلة بحرية عرفها تاريخ البشرية وهبط على الشاطئ ١٨ رجلاً يقودهم دلكانو وكان قد غادر ١٥٦ رجلاً من ثلاث سنوات نهر الوادي الكبير بادئين رحلتهم التاريخية بقيادة ماجلان.

"فوضى المشاعر"

رواية ممتعة تغرق بالرومانسية، فيها من المفاجآت، أفضل قراءتكم لها، كي لاأفسد متعة الرواية ببعض ما سوف أدرجه منها..

"أسطورة فيراتا"

تقول هذه الأسطورة إنه لا يمكن تحقيق السلام...

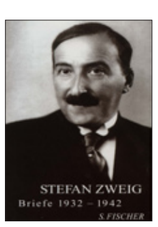

"الأخ الذي لايموت" كتبها ستيفان زيفايج،كتبها بلغة الشعر والحكمة والفلسفة.

حكم القاضي" فيراتا" على المتهم القاتل بالسجن إحدى عشرة سنة، وبجلده مائة جلدة، وقال له: " لقد عاقبتك عقوبة عادلة، ولكن المتهم أجابه: "ولكن يا أيها القاضي، ما هو المقياس الذي تقيس به العدالة؟ ومن أنهلك بالسوط حتى تعرف ما هو الجلد؟ وكيف تستطيع أن تحصي السنين على أصابعك كأن السنة التي تمضي في ضوء النهار مثل السنة التي تقضى في غياهب الأرض؟"

ولم ينم القاضي في تلك الليلة، وفي الصباح قرر في نفسه أمرا، وتوجه إلى قصر الملك. وطلب منه أن يمنحه إجازة شهر للاستجمام ثم توجه إلى السجن. وطلب مقابلة السجين المحكوم. وكانت حجرة السجين على بعد خمس طبقات من الدرجات عن سطح الأرض. وكان عمقها تحت الأرض أبعد مدى من ارتفاع أطول شجرة من شجيرات النخيل. ودخل "فيراتا" وأمسك بالشعلة فوق كتلة مظلمة لم تكد تتحرك برهة من الزمان، ثم صلصل القيد.

وانحنى فيراتا فوق الشخص المنطرح على الأرض وقال: "انعرفني؟"

– "أعرف. فأنت من جعلوا في يده مصيري. وقد سمعته بقدميك."

– "ليس في يدي مصير أحد، وأنا خادم الملك والعدالة، وقد جئت لأخدم العدالة" فنظر السجين إلى القاضي نظرة ثابتة حزينة: "ماذا تريد مني؟"

وبعد صمت طويل أجاب فيراتا:

"لقد نلت منك بالكلمات التي وردت في محكمي، وأنت كذلك نلت مني بألفاظك، ولست أدري هل كان حكمي عادلا، ولكن ما قلته كان ينطوي على حق، لأنه يجب على الإنسان ألا يقيس بمقياس لا يعرفه، ولقد كنت جاهلا، ويسرني أن أتعلم، ولقد أرسلت بالمئات إلى مأوى الظلام هذا، ولقد قضيت على أشخاص كثيرين. دون أن أعرف ما أنا صانع، والآن أريد أن أبحث وأريد أن أعرف لكي أصير عادلا، وعليك أن تترك المفتاح خارج حجرة البواب، وتنطلق بعد ذلك حرا، ولكنك ستظل مقيدا بقسمك بأن تحمل هذه الرسالة إلى الملك ليطلق سراحي من السجن حتى أحكم بعد ذلك بالعدل، فهل تقسم بأن تنفذ هذه الوصية؟"

فانبعث صوت متهدج كأنه مقبل من أعماق الأرض يقول: "أقسم على ذلك".

ففك فيراتا قيود السجين وتجرد من ملابسه. وقال: "البس هذه الثياب، وأعطني ثيابك، وأخف وجهك حتى يخالك السجان إياي. والآن قص شعري ولحيتي حتى أظل أنا كذلك مجهولا".

وتحت تأثير نظرات فيراتا الآمرة، فعل السجين ما أمره به مرتجفا مترددا، ولاذ بالصمت مليا، وأخيرا ارتخى على الأرض ونشج باكيا في تأثر بالغ:

"لا أستطيع احتمال مكابدتك الشقاء بدلا عني، لقد قتلت ويداي مضرجة بالدم والقضاء كان عادلا".

"لا أنت ولا أنا نستطيع أن نقرر عدالة هذا القضاء، ولكن سرعان ما يشرق الضوء على عقلي، فاذهب كما أقسمت، وحينما يعاود القمر اكتماله احمل كتابي إلى الملك ليطلق سراحي، وحينما يجيء الوقت سأعرف ما أنا قائم به من الأعمال، وستكون أحكامي بريئة من مجافاة العدالة فانصرف."

فركع الأسير وقبّل الأرض ودوى صرير الباب المغلق في الظلام، ونفذت مرة أخرى من خلال كوة أشعة من الشعلة، وخفقت على الحيطان ثم اكتنف ظلام الليل الساعات. وفي صباح اليوم التالي، جلد علانية فيراتا الذي لم يعرفه أحد، وحينما صب على ظهره العاري أول سوط أطلق صرخة، ولكنه لم يلبث أن أطبق على شفتيه وضغط على أسنانه، وفي الضربة السبعين غشي عليه، وحمل بعيدا كالوحش الميت.

ولما ثاب إليه وعْيُه كان مستلقيا في الحجرة، وخُيِّل إليه أنه قد انطرح على فراشه من الفحم المشتعل، ولكن جبينه كان باردا، واستنشق رائحة الأعشاب المتأودة. ولما فتح عينيه قليلا أبصر زوجة السجان إلى جانبه تبلل جبينه في رفق، ولما نظر إليها بانتباه أكثر. أدرك أن نجمة العطف كانت تشرق عليه من نظرتها، وتحقق وهو يعاني من الآلام الجسدية أن معنى الحزن يمكن في سماحة العطف".

"المعركة مع الشيطان"

تتحدث عن الوسواس الداخلي الذي لا يترك صاحبه يرتاح، فيقض مضجعهم، ويجنوا وينتحروا.

"لاعب الشطرنج"

عانى السير "ب" ألم الحبس وعثر في زنزانته على كتيب في لعبة الشطرنج هذه اللعبة الملوكية وداخل جدران السجن يسلى نفسه فيصبح مهووسا بكل ادوارها وخططها ويستحيل لاعبا وخصمه في آن واحد الى أن يجن بهذه اللعبة السحرية والمثيرة فيفقد اعصابه ويبدأ الهذيان، وعلى ظهر الباخرة المقلعة صوب مدينة "بيونس ايرس" يلاعب السير (ب) البطل العالمي (سيركو).

"عالم الأمس"

اتوبيوغرافيا: دون فيها كل أحداث الانقلابات منذ الحرب العالمية الأولى إلى مسبتا (الفاشية والنازية) الحرب العالمية الثانية.. عبر تفاصيل قالها ستيفان زفايج الذي ترك بلاده النمسا هربا مما طال يهود ألمانيا، وانتقالاته بين المدن إلى أن استقر به الحال في البرازيل، حيث أثبتت عزيمته بالكثير من الإحباط واليأس فأقدم على الإنتحار.

"بناة العالم"

إن بناة العالم ليسوا هم الجنود، أو الحكام، أو الأباطرة، وإنما الفنانون والكتاب. فهم أيضا مناضلون، ولكن في الظل. لقد ناضلوا من أجل أفكارهم، من أجل أحلامهم. وكل طاقاتهم كرسوها لخدمة الانسان. وبدلا من أن يدمروا، فإن هؤلاء المبدعين عمروا وبنوا. إنهم يقدمون عملاً يدعو للسلام بين الشعوب في جميع أنحاء الكون ولأنهم لا يسفكون الدماء من أجل البرهنة على قوتهم أو جبروتهم، ولا يدبرون المؤامرات ولا يشعلون الحروب فإن الناس يتجاهلونهم أو يستهينون بهم.

"رسالة من امرأة مجهولة".

كان الروائي الشهير (ر) في عطلة قصيرة في الجبال، ثم عاد إلى شقته في فيينا، ووجد عدداً من الرسائل في انتظاره. فتح

◄

واحدة أو اثنتين من هذه الرسائل، ثم ترك جانباً مغلفاً ثخيناً مكتوباً بخط غريب، عاد للمغلف، فوجده أشبه بمخطوطة، وليس برسالة. وشرع بقراءته بعد أن أشعل سيكاراً:

"إليك، أنت يا من لم يعرفني قط". ما هذا؟ وواصل القراءة: "إنني مات أمس" وبعد ذلك "والآن لم يبق لي سواك في العالم، سواك أنت يا من لا يعرفني... أنت وحدك، يا من لا أكف عن حبه". ثم "إليك أردت أن أتوجه بالكلام... لأنني أريدك ان تقف علي حياتي كلها، تلك الحياة التي كانت لك دائما والتي لا تعرف عنها شيئاً". لكنها لم تكتب إليه هذه الرسالة إلا لأنها على يقين من أنها ستفارق الحياة...

"سأمزق هذه الرسالة وأبقى صامتة كما كنت. لكن إن وقعت هذه الرسالة بين يديك، فستعلم أن امرأة فارقت الحياة تسرد لك قصة حياتها، قصة حياة كانت لك من أولها الى آخر لحظة من وعيها. فلن تكون بك حاجة الى الخوف من كلماتي. فالمرأة الفاقدة الحياة لا تتطلب شيئاً، لا حبا، ولا عاطفة، ولا مواساة".

"لكنني سأحدثك عن حياتي كلها، الحياة التي لم تبدأ حقا إلا يوم رأيتك للمرة الأولى". عندما دخل في عالمها كانت في الثالثة عشرة من عمرها. وبعد أن بلغت الثامنة عشرة تزوجت أمها الأرملة من رجل ذي دخل لا بأس به. وانتقلت معه الى مدينة أخرى. وطلبا منها مرافقتهما. فترضخ البنت وهي مجبرة، لتمضي عامين في معاناة موصولة لأنها بعيدة منه. إلا انها لم تقاوم أكثر من ذلك، فعادت الى فيينا، اليه، وإن من بُعد، بَعد أن وجدت لها عملاً في محل يعود الى أحد أقارب زوج أمها. وكانت حياتها كلها مكرسة له عن مسافة. وصارت تشتري كتبه، وتقرأها مرات ومرات لتعيش عالمه.

على أية حال، وجدت هذه السيدة نفسها مضطرة لأن تعيش مع هذا الرجل الغني الكريم الذي عرض عليها الزواج ورفضته. وذات ليلة كانت تسهر في أحد الملاهي مع صاحبها ورفاقه. فلمحته هو أيضاً. فغمز لها إن كانت ترغب في مرافقته. فتركت صديقها، وحتى معطفها وخرجت معه في عز البرد، وكلها أمل في انه سيعرفها. لكنه أمضى الليلة معها من دون أن يعرفها. وفي الصباح نقدها ورقتين نقديتين. فهمت بأن ترميهما في وجهه، لكنها أعطتهما الى خادمه الذي تذكرها بعد كل تلك السنين. وخرجت مسرعة لأن عينيها كانتا مغرورقتين بالدموع، ولم تكن بها رغبة لرؤيته.

"لن أستطيع ان أكتب أكثر من ذلك، فرأسي ثقيل جداً، وأطرافي تؤلمني، وبي حمّى، وعليّ أن أستلقي لأتلقى الموت..." وطلبت منه شيئاً واحداً، هو أن يضع ورودا بيضاء في مزهريته الزرقاء في مناسبات عيد ميلاده، كما كانت ترسل اليه كل عام.

ووقعت رسالتها من يديه. وراح يمعن في التفكير. نعم، إنه يتذكر على نحو غامض صبية كانت جارة له، وامرأة في صالة رقص. وحاول ان يعتصر ذاكرته أكثر من ذلك، لكنه لم يتوصل الى شيء واضح وملموس. ووقع بصره على المزهرية الزرقاء أمامه. كان ذلك يوم عيد ميلاده. فوجدها خالية من الزهور للمرة الأولى. فأمّلت به رعشة، وتملكه إحساس بالموت، وبحب عميق يطوقه. وارتج كيانه لذكرى هذه المرأة الميتة.

رأي الآخرين في أعماله

"مكسيم غوركي" قال:

في رائعة ستيفان زفايج -٢٤ ساعة في حياة امرأة-: "أنه لا يذكر أنه قرأ ما أشد عمقا منها"

"الكاتبة والروائية الفرنسية دومينيك بونا":

تصف ستيفان زفايج بـ"الصديق الجريح"،الكريم في صداقاته والمسالم والملتزم في السياسة.

تقول المؤلفة: "هناك سر عنوانه ستيفان زفايج، وقد حررت هذا الكتاب من أجل محاولة الكشف عن خفاياه".

لقد استطاع ستيفان زفايج وهو "الكتوم والمتحفظ أن يشعل نارا لدى شخوص رواياته وأن يجعل قارئيه يشعرون بحرارة هذه النار"، وتضيف قائلة: "إن أصول هذه النار هي التي أردت البحث عنها في محطات حياته".

وعن اسلوبه قالت: "ستيفان زفايج يشعّ دائما. ولا يزال يجذب الآخرين ولا يزال يحظون أسلوبه السريع والواثق وحساسيته لا تزال زاخرة بالحياة». وترى المؤلفة أيضا أن هناك سببا آخر لاستمرار الاهتمام بأعمال شتيفان تسفايغ وهو أن «الظلال الخفيفة وسحب الدخان المتناثرة في أعماله ربما تتناظر جيّدا مع أشكال قلقنا وأشكال عذاباتنا الحاضرة".

قال لوران سيكسيك

عن الهولوكوست قال في ستيفان زفايج

"إذ أصابته هذه العملية بالضربة القاضية على الرغم من أنه كان لا يشعر بأنه يهودي، إلا أنها بقيت عملية غير مفهومة بالنسبة إليه".

كتاب لوران سيكسيك "أيام ستيفان زفايج الأخيرة"، تناول فيه السيَر من جهة والكتب التي أبدع موضوعاتها من جهة أخرى.

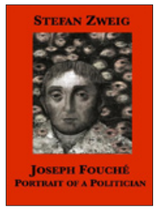

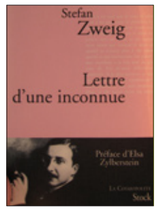

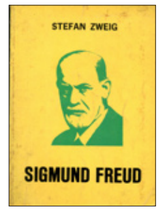

انتحار ستيفان زفايج

■ في يوم ٢١ شباط عام ١٩٤٢ جلس في بيته الفخم يودع معارفه بريدياً ويشرح لهم أسباب انتحاره وكتب يومذاك ١٩٢ رسالة وداع، بما في ذلك رسالة إلى زوجته الأولى وبعد ذلك يخل ستيفان زفايج إلى غرفة النوم، فتناول كمية كبيرة قاتلة من "الفيرونال -الأقراص المنومة " واستلقى على فراشه، ثم التحقت به "لوت"، وهي بثوب الحمام، وفعلت الشيء نفسه.. وتعانقا بحنان وطال العناق. فلم يفهم أصدقاء ستيفان زفايج فعلته.

وفي اليوم التالي اقتحم خدم المنزل غرفة النوم لتأخرهما بالاستيقاظ المعتاد ليجدوا الأديب وزوجته قد فارقا الحياة في عناق أبدي ودون إثارة ضجة،ولم ينس الأديب أن يعطي كلبه المدلل جرعة كبيرة من المنومات،فنام بدوره أمام باب غرفة النوم.

"رسالته لزوجته الاولى يخبرها موته "

■ كتب رسالة لفريديريك- زوجته الأولى- الذي حافظ معها على صداقة عميقة، مفادها: "أكتب لك هذه الرسالة وأنا في الساعات الأخيرة من حياتي. لا تتصوري كم أنا أحس بالسعادة بعد اتخاذي هذا القرار".

■ قرر ستيفان التخلص من الحياة وهو يشهد انهيار السلم العالمي وويلات الحرب العالمية الثانية فشعر بخيبة شديدة وتوترت أعصابه المرهفة فأقدم على فعلته دون وجل، ولم ينس أن يشكر حكومة البرازيل حيث انتحر على حسن الضيافة والرعاية،علماً أن الراحل كان قد حصل على الجنسية البريطانية قبل انتحاره بمدة وجيزة.

"عن انتحاره يقولون ":

■ يسمي الدكتور فخري الدباغ هذا الأنتحار بـ"الانتحار الثنائي" وهو الرغبة في الموت مع شخص آخر تربطه به عواطف ساخنة ووشائج متينة وصفوة القول فقد كان ستيفان متسرعا في اتخاذه لقرار إنهاء حياته نتيجة حساسيته المفرطة وسليبته ولو انتظر عدة سنوات لشهد بنفسه عودة السلم العالمي واندحار النازية والفاشية معا.

قال توماس مان لزوجته:

■ "انه أناني! لم يفكر إلا في نفسه عندما انتحر! الا يعرف أن جميع الكتاب الألمان يعيشون في فقر مدقع وهم يبحثون عن لقمة الخبز؟ فبعد أن شردهم هتلر بوحشيته وهمجيته في جميع أقطار الأرض اصبحوا أذلاء يتقوتون على أبواب الناس. وأما هو فكان معززا مكرما يعيش عيشة الملوك ومع ذلك فقد انتحر!".

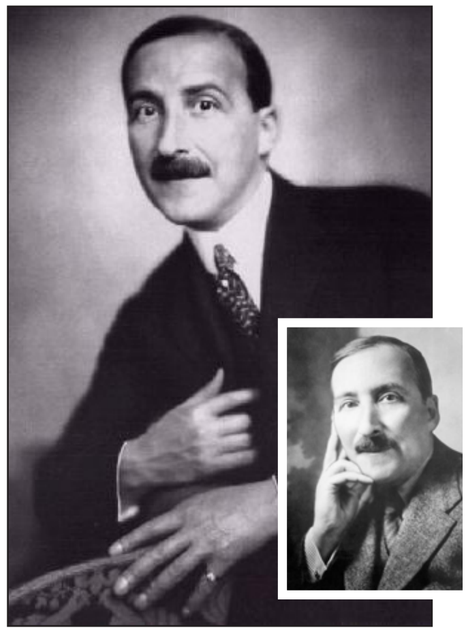

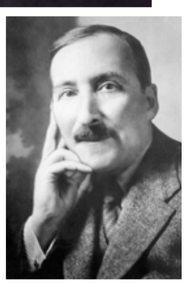

حياة في رسائل جوزيف روث.. ستيفان زفايج وآخرون

جوزيف روث

حياته كانت ملأى بالأحداث مثل رواياته

((لا يمكنني أن أتخلى عن الإنسانية أو الحرية)) أعلن جوزيف روث في رسالة الى صديقه النمساوي ستيفان زفايج. الحرية، كانت الصواب الذي يلائم وضع ممتلكاته في حقيبتي سفر والإقامة في الفنادق؛ الانتقال في سنة واحدة من النمسا الى المانيا الى فرنسا الى روسيا؛ ألا يكون له عنوان ولا حساب في المصرف. كان متزوجا، من امرأة اودعت في مصحة الأمراض العقلية، وكان له علاقات طويلة الأجل مع عشيقات. لكنه تجنب ((روائح الطبخ والحياة العائلية)). ((آثر التركيز على الأثاث. أكره المنازل)) الإنسانية، كانت الواجب الذي يدفعه لمساعدة هذه النساء مع آبائهن واطفالهن. كان روث في الغالب مفلسا، لكنه مع هذا تقاسم المال الذي كان معه مع ثماني نساء أخريات.

ترجمة: عباس المفرجي

على نطاق أوسع، كانت الحرية هي التركيب الذي يسمح له بازدراء أصدقاء وأمم يفتقرون الى الإنسانية. كان روث يعيش في المانيا في ١٩٣٣، لكن في اليوم الذي أصبح فيه هتلر مستشارا رحل عنها ولم يعد أبدا. ((ما يميّزني عن الجميع، الذين هم ناشطون في المانيا)) قال لي زفايج الأكثر تكيّفا: ((هو بالضبط ما يميّز الإنسان عن الحيوان)).

العيش بهذه الطريقة التي لا تقبل التسوية مرهق ومكلف. بحلول عام ١٩٣٥، لم يبق أحد، من أصدقاء ونأشرين، الا واقترض منه نقودا، وحتى من ساقي الحانة الذي أبدى استعداده لذلك. كان يعمل لعشر ساعات في اليوم، منتجا كل يوم مقالة وكل سنة رواية، لكنه كان رجل أعمال فاشل ومدمنا على الكحول. وكان زفايج يوبخه لأنه يصرف على الشراب أكثر مما تصرفه عائلة متوسطة الحال على أمور العيش. نتيجة لذلك ن كان روث ينحل جسديا. كان يتقيأ طحالا ودما؛ كانت عيناه تشتعل وقدماه منتفختان؛ كان شعره وأسنانه يتساقطان.

هما هو روث، الذي كان ينزف ويصرخ من خلال رسائله، اصبح متاحا في اللغة الانكليزية لأول مرّة من قبل مايكل هوفمان. ليس هناك أي سيرة حياة لروث بالانكليزية، وحتى الآن ستكون هذه بالنسبة للعديد من القرّاء أول لمحة عن الإنسان الذي يقبع خلف رواياته. سيكون بمقدور قرّاء "مسيرة رادتزسكي" أن يطابقوا روث مع سيماء أشهر شخصياته، ليوتنانت تروتا، الذي هو الآخر متشرد وكحولي مدمر لذاته. لكن بينما يستجيب تروتا بشكل سلبي للأحداث، فإن مبدعه يرمي نفسه بعنف على العالم، شاجبا له حتى عندما خسر معركة بقائه حيا. في واحد من أروع مقالاته السيرية التي تقاطع مرارا هذا الكتاب، يضفي هوفمان على روث سمات ((رجل يقوم برحلة الى حافة العالم المانيا، بأناقتها الزائفة، أصواتها العالية وغاياتها القبيحات، وميولها القومية الأكثر خطرا. وقرفه من القومية قاده الى احتقار اسرائيل الصهيونية، ربما بنفس القدر الذي يلعن به المانيا المعادية للسامية. ((صهيوني هو اشتراكي قومي، اشتراكي قومي هو صهيوني.)) يصف يهوديته الخاصة به ب ((مسألة ميتافيزيقية)). رغم أنه سعيد بأن يعرّف نفسه بيهودي، لكنه كاثوليكي الروح.

هذه هي مجموعة غريبة من رسائل، لا تتضمن رسالة موجهة الى زوجة روث أو عشيقاته، وهناك رسائل قليلة جدا لأسرته. ووصف علاقاته الرومانسية هو أقل تكرارا من قوائم مبالغ ديونه. لكن من الواضح أن ولعه يكمن في الأدب والصداقة أكثر من الحب والزواج. في هذه الناحية، تعيننا الرسائل حقا على التعرّف على أكثر الجوانب توهجا وشخصية في روث، والأكثر منها في مراسلاته مع زفايج. صداقة روث معه رسمية على نحو نموذجي. في عام ١٩٣٠ أقنع زفايج روث بأن يسقط كلمة (سيد) من المخاطبة، لكن روث ظل يحجم عن مخاطبة زفايج بـ "ستيفان". مع هذا، فإن الرسمية لا تمنع التعبير عن الحب العميق والكراهية. كان روث مخلصا بقوّة الى "الحبل السُرّي للصداقة" مع زفايج، لكنه كان غالبا ما يهدد بنهاية الصداقة إن أخفق زفايج بأن يبعد نفسه بشكل كاف عن المانيا. ((سأكف عن حبك في اللحظة التي تصبح فيها ابن العالم)). في النهاية، قرّر روث أن يهجر زفايج. ثمة رسائل قليلة اليه قبل سنة واحدة من وفاة روث في أيار ١٩٣٩. يُطري هوفمان، المعروف بخصومته لزفايج، على إدراك روث بتفوّقه ككاتب وكانسان على حد سواء. في واحد من الهوامش الدوغماتية التي ساهمت بجعل هذا الكتاب مسليًا، يقول لنا هوفمان أن روث هو الكاتب الأفضل، والقرّاء الانكليز الذين يدمجون نصوصهما معا هم ((جهلة ولا يمكن الصفح عنهم)). وبكل تأكيد، يتجسّد روث هنا كأعظم إنسان. كان فاشلا في علاقاته الدنيوية؛ كان يتصرّف كالمجنون كزوج وزميل وصديق، لكنه كان مبدئيا وذا بصيرة، وعلى نحو مؤثر عاش حياته على نطاق هائل، مضحيا بالكرامة في سبيل الصدق والتوهج. ((لا وطن لي، فضلا عن أنّي أشعر بالوطن في نفسي)) كتب في ١٩٣٠. ((حيثما أكون تعيسا ذلك وطني)) يظهر روث في الرسائل كالبطل التراجيدي الذي كان يرفضه في رواياته.

عن صحيفة الغارديان

http://www.almadapaper.net - E-mail: almada@almadapaper.net

ستيفان زفايج... أحد بناة العالم

دفء الحيـاة في غرفتين، وسـيجار وزيارة واحدة في اليوم للمقهى

نجـم والـي

من يتعمق في هذه الرسائل، يجد نفسه مرة واحدة في عوالم غريبة، سكانها يبدون كما لو أنهم سلموا أنفسهم تماماً للعمل الفكري، وثقتهم الكبيرة لقوة الفن ولغة القلوب، التي هي في أحايين كثيرة تثير الشغف بصورة مباشرة. هناك نظام منضبط بالتعبير وفي طريقة الاشتغال على العمل الأدبي، وإرادة بالتلفظ والتعبير، تجعلان حاضر الكتابة يبدو بالمقارنة مجرد رطانة. تلك هي طريقة الكتابة عند كل أولئك الذين يفرحنا نعتهم بـ "بناة العالم"، كما نعتهم "ستيفان زفايج"، في كتابه الذائع الصيت الذي سحر جيلي بصورة خاصة، والذي ربما يدرك أكثر من غيره معنى قراءة عمل عظيم ينتمي للماضي، ليكتب: "الحاضر يعاني دائماً من بعد نظر غريب للعين: المرء يتعرف على كل ما هو كبير في البعيد، على عكس صورة كل ما هو قريب، التي يشعر بها مشوشة ومجهولة".

والحاضر بما يخص الجزء الثالث من رسائل ستيفان زفايج التي نقرأها هنا، هو أعوام ١٩٢٠ – ١٩٣١؛ تلك الأعوام التي استطاع فيها كاتبها تثبيت نفسه ككاتب روائي، وصاحب منمنمات تاريخية، ومؤلف سير شخصية وكاتب مسرحي: "٢٤ ساعة في حياة امرأة" و"خوف" و"اضطراب المشاعر"، ثلاثة أعمال مهمة في حياة المؤلف نشأت بين أعمال أخرى في هذه السنوات، من ضمنها مقالاته الثلاث الرائعة عن عالم الكلاسيكيين، التي تُرجمت عندنا تحت عنوان "بناة العالم"، بالإضافة للسير التي كتبها عن حياة "جوزيف فوكه" و"ماري أنطوانيت".

نحن نلتقي هنا إذن بفنان في قمة حياته الإبداعية، رجل في عقد سنواته الخمسين، يودعها في رسالة إلى أخيه ألفريد بمناسبة ميلاده الخمسين في ٢٨ نوفمبر ١٩٣١، لا تخلو من تفاؤلية خاطئة ينهيها: "أقرأ للتو في الصحف الألمانية أشياء سافرة تقريباً. لكني أشعر إذا استدعت الحال بنفسي مستعداً بما فيه الكفاية، لرمي كل أثاث البيت كي أبدأ مرة أخرى من جديد: كأولاد لأبوينا أنا، نافذ الصبر، أرحل سلفاً، قبلهم"، كتب في رسالته الأخيرة.

ليس بإمكان المرء الادعاء بأن ذاك الشؤم لم يدمغ رسائل سنوات الحرب تلك بوقت مبكر، وأن زفايج ذاته حدس ذلك: "ربما أنا متشائم جداً. لكن حتى اليوم كانت توقعاتنا الأكثر سوداوية تُكتسح دائماً من الواقع" كتب في العام ١٩٢١. عام بعد ذلك قُتل صديقه "راتينو": "لم أر بأكثر سوداوية أكثر من اليوم: الأمر الواقع، هو أن المرء ما زال يصيد المفكرين في ألمانيا، كما يفعل مع الأرانب....- أنه أمر مميز جداً!" وأكثر من ذلك بعد سنة: "أن ما يحدث في ألمانيا، يفوق كل التوقعات المحزنة. جنون على جنون! "الرسالة معنونة لرومان رولان، الكاتب الفرنسي وداعية السلام الأوروبي، الذي كان يتراسل معه زفايج منذ عام ١٩١٠ (غالباً باللغة الفرنسية) والذي كان بالنسبة إليه نموذجاً عالياً للأديب الإنساني: "أن فضيلته"، كتب إلى مكسيم غوركي، "أحكامه العادلة، ونزاهته هي صفات نادرة على وجه هذه الأرض المسكينة، رغم أنه يصارع الشر بجسد عليل".

يلاحظ المرء بصورة جيدة الكلمات القليلة هذه وبأي فيض يغمر زفايج واثقاً شركاءه بالمراسلة، وبأي دأب يصر على الشيء بأسنانه. حتى أنه لا يتردد من توضيح سبب عدم رغبته كتابة أي موضوع عن غوستاف فلوبير، وأن عذره: أنه يكتب إلى حد ما جيداً هناك فقط، "حيث أكون شغوفاً بالموضوع"، وهذا يحدث تقريباً مع كل موضوع يمس شغاف قلبه، وليس لذلك علاقة باسم الكاتب ومكانته، وذلك ما نجد تأييده بصورة خاصة في أجوبته على العديد من المؤلفين الشباب، الذين أرسلوا له كتبهم. وفي تلك المراسلات نلتقي بزفايج المخلص للاحظاته، زفايج البعيد عن كل ديبلوماسية، وكيف أنه يبذل كل ما في وسعه، لتصعيد كل ما يجده جيداً، بل أنه لا يخفي انفعالاته المباشرة.

وبالذات يشعر قارئ هذا القسم من الرسائل بخفقان قلبه بصورة خاصة. أنه لأمر يثير الدهشة حقاً، كيف أن زفايج لا يستهين بأي تعلمنا منه شخصياً طريقة معينة بالعيش المتواضع. بإمكاني أن أعيش مرتاحاً في غرفتين، والقليل من السيجار، مع زيارة المقهى مرة واحدة في اليوم، أكثر من ذلك لا أحتاج شيئاً. لذلك من غير الداعي أن يقلق المرء نفسه".

ربما كان يحاول في ذلك الوقت منح نفسه الشجاعة، التي سيحتاجها بصورة ملحة بعد ثلاث سنوات، عندما كان عليه أن يذهب للمنفى، إلى انكلترا، ثم ليرحل بعدها بعيداً، حتى البرازيل، لكن ليس بعيداً بما فيه الكفاية، لكي يهرب من حب العودة لأماكن طفولته والشوق لرؤية أصدقائه، والحرب. ربما ذلك هو التفسير الوحيد، أو أحد التفسيرات لسبب انتحاره مع زوجته في العام ١٩٤٢، في البرازيل. إذن فقط عشر سنوات ظلت له للحياة بعد آخر رسائل هذه المجموعة – أنه بالفعل أمر يدعو للعويل! –، والتي نقرأ فيها تلك الجملة التي تفوق كل شعر: "أحيي كل أصدقائي، ليبروا قدر ما يستطيعون بزوغ الفجر بعد ليل طويل! أما كتاب، على العكس أنه يحرص في أجوبته على وضعه في حيز فكري، لكي يتفادى إثارة الانتباه بالتركيز على نقطة الضعف هذه أو تلك. وبعض الأحيان يُلبس شكوكه لبوس اعتراضات ناشر ويكتب للكاتب: "الناشرون عندهم خوف كافر كامل قبل كل شيء من كل ما لا يتجاوب معه الجمهور بطواعية". قول جميل. أو يقول لكاتب آخر، بأن روايته تحوي على "غنى حياتي وتنوع" وأن "القارئ المعاصر متعود على سرعة زمنية شبيهة بالسينما ولا يتوقع المرء تنقلات أحداث، من صورة إلى أخرى، إنما من الممكن ترتيبها واحدة بعد الأخرى بهدوء دون التوسط بينها". ثم يقترح على الكاتبين برقية، لكن بصورة قاطعة، أن يختصرا أعمالهما ويهذبانها. لكن لا يغيب عن نظرنا أن خلف ملاحظاته، نفهم: أن موهبة زفايج بتعشيق الحركة الداخلية للقصة مع المجرى الخارجي للحدث، لا يملكها في كل الأحوال أي من الكاتبين.

على أية حال أن كل ما نقرأه، هو الجانب المعلن من كاتب الرسائل زفايج (طبعاً أكثر إثارة للاهتمام هو نبرتها الشخصية)، الجانب المستخلص من عالم المفكرين المتوتر بعض الشيء، المقصود أيضاً ذلك الجانب، الذي يستطيع المرء التطلع إليه عبر كتف الكاتب؛ في الوقت الذي يجب على المرء أن يقول في حالة زفايج، بأن فنه في العيش يكمن بالذات في ذلك الشيء الحميمي: عقد الصداقات، حيث يختلط ما هو يومي مع ما هو أبدي. لكن هناك طبعاً على الجانب الآخر من تبجيل بشر مثل فرويد أو غوركي، رسائل حميمة شخصية لزوجته "فريديكه" أو لصديقه "فكتور فلايشر". من جانب آخر يظل الأمر الأكثر إثارة في مجموعة رسائل مثل هذه، بأن المرء يحاول دائماً، استخلاص ما يشبه سيرة حياة للكاتب من كل الحلقة المنتظمة لتلك الكتابات؛ وأن على المرء أيضاً تخيل كل ما يمكنه من سد ثغرات تلك الرسائل، بالإضافة إلى تخيل ما يمكن أن تكون حياة الإنسان الذي يختفي خلفها. في هذه الثغرات، أو ما يطلق عليه البعض "بين السطور"، يقدم زفايج نفسه ممزقاً بين التقرب للناس والهروب منهم، بين الحماس بالعمل والتعب، بين وعي الواجب وضغط الحرية. أنه يسافر بشغف، ويفضل الاختفاء في مجهولية الغربة. أما النجاح الذي عاشه الكاتب، فقد ترك تأثيراته الأولى بصورة واضحة، أما الشيخوخة فتقلقه: "أنني بحاجة لمصل من العناد، قوة العمل، ورش البودر (على المرء أن يقع في الحب ويسافر لمدة ثلاثة أسابيع مع بنت شابة؛! الغثيان المتجمع عندي من الأدب لا يمكن وصفه)". هنا كان قد قطع طريقاً طويلاً، وترك خلفه الرجل الشاب الذي كان يعبر في رسائله الأولى عن توقه للاعتراف به وقبوله بين صفوف النخبة، والذي لم يتردد في الكتابة (كان في بداية سن الأربعين) من الكتابة لـ "جوزيف روث"، الأقل منه سعادة: "أنا أخجل قليلاً أمامكم، لأن حياتي تجري سلسة، حيث لا أملك في العمق عدم الخوف فقط إنما عندي توق سري وتراجيدي للهزات الكبيرة".

طبعاً في لحظات الفراغ والكآبة هذه يميل زفايج بالضبط للمبالغة والفيض، لكن هنا أيضاً من الممكن النظر إلى ذلك بأنه بالذات من قوة التوتر تلك صنع عمله الأدبي، الذي يتحدث دائماً عن إنعدام السيطرة والشعور بالفقدان "أحياناً هناك ما ينبع من هذه الأزمات"، يكتب لزوجته، "أحياناً يصل المرء عبرها إلى عمق أكثر – لكن في النهاية أنها جزء من الإنسان أيضاً".

هكذا هو الأمر مع هذه الرسائل، أنها مثل جبل من الثلج: جزء من شخصية ستيفان زفايج، يبدو أمامنا الآن أكثر شفافية، لكن المرء يتساءل في الوقت ذاته عن نسبة الماء التي ما زالت تجري تحت ذلك الجبل، والتي على المرء تكهنها. وربما ذلك ما يشكو زفايج من نقصانه: "هذا الفن العالي الصافي لكتابة رسالة يبدو أنه يسير إلى زواله. المخرب الأول هو الصحيفة، التي يكتب فيها كل شيء للجميع. المخرب الثاني هو آلة الطابعة، التي تسرق من الكلمة روحها، التي يمنحها كل إنسان في خطه، وكيف أنها تجعلها تختفي خلف مرآة باردة؛ الدمار الثالث جاء مع التلفون، حيث يخبر الناس بعضهم البعض بعجالة، قبل أن يقتحم الدفء الأعماق، في الدم الحيوي"....لكن لو كان صاحب "بناة العالم" يعلم....ما الذي كان سيقوله عن زمن الإيميل والانترنيت...؟

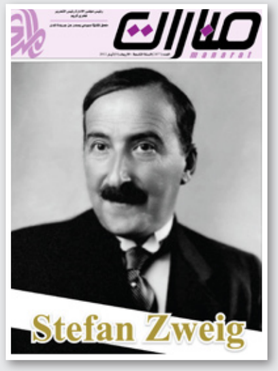

manarat

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
عدنان حسين

مدير التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
ديـار خـالـد

التصحيح اللغوي
محمد حنون

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

كُرِّمت واحتقرت،
ونعمت بالحرية
وحُرمت منها، وتمتعت
بالغنى وعانيت العوز